من تراث الفقه السياسي الإسلامي

كتاب
درر السلوك في سياسة الملوك

للإمام
أبي الحسن علي بن حبيب الماوردي
(المتوفى ٤٥٠هـ)

تحقيق ودراسة وتعليق
المستشار الدكتور
فؤاد عبد المنعم أحمد
خبير البحوث الإسلامية السابق لدولة قطر
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة قسم القضاء
جامعة أم القرى

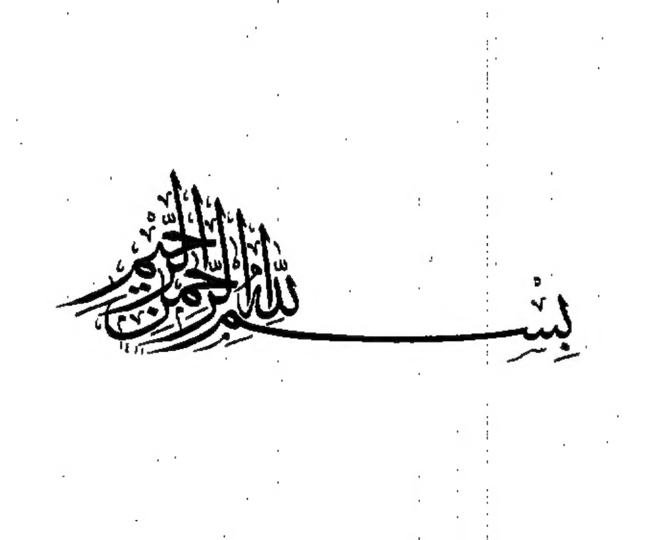
دار الوطن للنشر
الرياض ـ شارع المعذر ـ ص . ب ٣٣١٠
ت : ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس : ٤٧٦٤٦٥٩

كتاب

درر السلوك في سياسة الملوك

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد صاحبت أبا الحسن الماوردي منذ أكثر من ربع قرن من الزمان، ووقفت على كتبه المخطوطة والمطبوعة، ودرستها - ما وسع الجهد والوقت - ووفقني الله عز وجل؛ ولله المنة والحمد، إلى إخراج دراسة عنه بعنوان: من أعلام الإسلام: الإمام أبو الحسن الماوردي (المتوفى ٤٥٠ هـ) تناولت جوانبه المختلفة في التفسير، والفقه وأصوله، والأخلاق والتربية، منذ قرابة عشرين عامًا[١]. وحققت من كتبه: «قوانين الوزارة»[٢]، و«الأمثال والحكم»[٣] وأثبت انتفاء نسبة كتاب «التحفة الملوكية في الآداب السياسية»[٤] وكتاب «نصيحة

---

(١) بالاشتراك مع الدكتور محمد سليمان داود - رحمه الله - وصدرت الطبعة الأولى عن مؤسسة شباب الجامعة بالأسكندرية، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٨ م.

(٢) مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثالثة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

(٣) مؤسسة شباب الجامعة الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٨ م.

(٤) مؤسسة شباب الجامعة الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

الملوك» إليه[1].

ووفقني الله عز وجل في زيارتي لتركيا منذ عدة سنوات أن أعثر على بعض المخطوطات لأبي الحسن الماوردي منها: «درر السلوك في سياسة الملوك»، نسخة خزائنية نفيسة، والكتاب قدمه الماوردي إلى حاكم عصره وصاحب السلطة الفعلية فيه: بهاء الدولة البويهي، ضمنه الأخلاق التي يجب أن يتصف الحاكم بها، والمبادئ والمقاصد التي تسيطر على السياسة الإسلامية.

وقد بذلت جهدي وطاقتي في تحقيق نسبة الكتاب وتوثيقه ودراسته، وأسأل الله عز وجل أن يتقبل عملي، وأن ينفع به الراعي والرعية، وأن نفوز بمحبة الله ورضاه.

كتبه

فؤاد عبد المنعم أحمد

الإسكندرية في ربيع الأول ١٤١٧ هـ

---

(١) الماوردي وكتاب «نصيحة الملوك»، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

مقدمة الدراسة والتحقيق

نتناول في هذه المقدمة دراسة عن: المؤلف، والكتاب وقيمته العلمية ونسخته، ومنهج التحقيق في مبحثين:

المبحث الأول

المؤلف: أبو الحسن الماوردي

عصره، معالم حياته، شيوخه، وظائفه، تلاميذه، آثاره العلمية، وفاته، ثناء الأئمة عليه.

المبحث الثاني

نسبة الكتاب وقيمته العلمية ونسخته، ومنهج التحقيق

- مدى نسبة الكتاب إلى أبي الحسن الماوردي.
- القيمة العلمية للكتاب وأثرها في مؤلفات الماوردي السياسية.
- التعريف بالكتاب، ومصادره، وخصائصه.
- وصف نسخة الكتاب.
- منهج التحقيق.

المبحث الأول

المؤلف: أبو الحسن الماوردي

فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : عصر الماوردي.

المطلب الثاني: معالم حياة الماوردي، نسبه، مولده ومكان ولادته، وشيوخه، ووظائفه، وأهم تلاميذه.

المطلب الثالث: وفاته، وآثاره العلمية، وثناء الأئمة عليه.

المطلب الأول

عصر الماوردي

ظهر أبو الحسن الماوردي في الفترة الثانية من الحكم العباسي التي تميزت بسيطرة أسرة بني بويه على الخلفاء العباسيين، ويشاء الله أن يكون بدء ظهور البويهيين في الأفق السياسي عام ٣٣٤ هـ قريبًا من مطلع مولد أبي الحسن الماوردي عام ٣٦٤ هـ، وأن يكون أفول نجمهم عام ٤٤٧ هـ قريبًا من وفاته عام ٤٥٠ هـ، وقد حكم البويهيون ما يقرب من قرن من الزمان، وعاش الماوردي ستًا وثمانين سنة.

ويقول المؤرخون إن (بويه) كان والدًا لثلاثة أخوة: علي، الحسن، وأحمد، وهي أسرة فارسية يطلق عليهم (الديلم) انتظمت داخل جيش الخلافة الإسلامي، واشتهروا بالشجاعة كما وصفوا بالطيش والعجلة والقسوة والغلظة، وأخذوا يترقون في المناصب العسكرية حتى وصلوا إلى أعلى درجات السلطة والوزارة، وسيطروا على الدولة دون الخليفة العباسي، فأنشأوا في بغداد إمارة وراثية ظلت بأيديهم، وكان البويهيون شيعة يخالفون في مذهبهم مذهب الخلفاء العباسيين حماة المذهب السني، لذلك لم يعترفوا بسيادة الخليفة العباسي؛ لأنه لم يكن لديهم باعث ديني يحثهم على طاعة الخليفة واحترامه[1]» فكان الخلفاء تحت

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ٨، ١٧٧.

إمرتهم يعزلونهم، أو يسملون عيونهم، أو يقتلونهم، ويعينون بديلاً منهم.

يقول ابن الأثير: «إن معز الدولة البويهي ذهب إلى الخليفة المستكفي بالله وقبل الأرض بين يديه وجلس، وحضر مجلس الخليفة رسول صاحب خراسان، وفريق من الناس فتقدم اثنان من أتباع معز الدولة نحو المستكفي بالله (٣٣٨ هـ) الذي ظن أنهما يريدان تقبيل يده، فجذباه وطرحاه إلى الأرض ووضعا عمامته في عنقه؛ وساقاه ماشيًا إلى دار الدولة حيث اعتقل فيها؛ ونهبت دار الخلافة حتى لم يبقَ فيها شيء، ثم أحضر (معز الدولة) أبا القاسم الفضل بن المقتدر وبايعه بالخلافة، ولقبه (المطيع لله) (من ٣٣٤ هـ - ٣٦٤ هـ) وأحضر المستكفي، فشهد على نفسه، وسملت عيناه؛ وظل معتقلاً حتى توفي عام ٣٣٨ هـ، واستأثر معز الدولة بالسلطة دون الخليفة العباسي، ولما تولى السلطة ابنه عز الدولة عامل الخليفة أسوأ من معاملة أبيه، ففي عام ٣٦٢ هـ طلب الأمير البويهي مبلغًا من المال بحجة الجهاد ضد الروم الذين اعتدوا على الأراضي الإسلامية، ولم يكن المال متوفرًا لدى المطيع فاضطره لبيع أثاثه ومجوهراته، وأخذ أربعمائة ألف درهم[١]، ولم ينفقها عز الدولة على

---

(١) المصدر السابق: جـ ٦ ص٣٤٢، ص٣٤٣.

الجهاد، بل أنفقها على مصالحه، وأشيع في بغداد أن الخليفة قد صودر[١]، وقد اشتد الغلاء ببغداد في عهد المطيع لله حتى مات الناس من الجوع، وأكلت الكلاب جثثهم[٢]. وليس أدل على ضعف نفوذ الخليفة العباسي، واستبداد البويهيين بالسلطة من هذه الرسالة التي بعث بها الخليفة المطيع إلى عز الدولة بختيار (٣٦٧ هـ) حين طلب منه الأمير البويهي المال للجهاد مدعيًا أن ذلك من واجب الإمام فرد عليه الخليفة: (الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي، وإلى تدبير الأموال والرجال. أما الآن وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفايتي؛ وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف ـ الأقاليم ـ فلا يلزمني غزو ولا حج، ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي تخطبون به على منابركم، تسكنون به رعاياكم، فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار، وتركت لكم الأمر كله)[٣]. وانتهى الأمر بأن عزل الأمير بختيار الخليفة المطيع، وولى الطائع بدلاً منه.

وتولى الطائع (من ٣٦٣ هـ ـ ٣٨١ هـ) وقبض عليه بهاء الدولة،

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم جـ ٢، ص ٣٠٨.

(٢) جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص٣٩٨.

(٣) مسكويه: تجارب الأمم جـ ٣ ص٣٠٧.

لأنه حبس رجلاً من خواصه، وأجبره على أن يخلع نفسه من الخلافة، وسلم الأمر إلى القادر بالله (٤٢٢ هـ)، وفي بداية عهد القادر بالله وفي مجلس توليته حلف بهاء الدولة للخليفة على الطاعة والقيام بشروط البيعة، كما حلف الخليفة القادر بالله للأمير بهاء الدولة بالوفاء والإخلاص وقلده ما وراء داره، وقد بلغت به حسن السياسة والكياسة إلى أن تزوج ابنة بهاء الدولة[١].

وكان القادر بالله رجلاً صالحًا متدينًا، شافعي المذهب، كتب كتابًا في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة، وكان يكفر المعتزلة والقائلين بخلق القرآن. وفي عهده لقي العلماء التكريم والاهتمام فقد أنشأ وزيره أبو النصر سابور بن أردشير دارًا بالكرخ وأوقفها على العلماء، وجعل بها كتبًا كثيرة، فظهر في هذا العصر كثير من العلماء، والمفكرين المسلمين كان منهم: أبو إسحاق الإسفراييني رأس الأشاعرة، والقاضي عبد الجبار أحمد رأس المعتزلة، ورأس الرافضة الشيخ المقتدر، ورأس الكرامية محمد بن الهيصم، ورأس المحدثين الحافظ عبد الغني بن سعيد، ورأس الصوفية عبد الرحمن السلمي[٢].

وتولى القائم بالله (من ٤٢٢ هـ - ٤٦٨ هـ) وكان عادلاً رحيمًا

(١) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر جـ ٢ ص١٨٨.
(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٤١٢، ٤١٦.

متصدقًا، وأرسل الخليفة القائم بالله أبا الحسن الماوردي إلى الملك أبي كاليجار لأخذ البيعة عليه للقائم ويخطب له في بلاده[١]. ولما استأثر جلال الدولة بهدايا ومنح الخليفة القائم أرسل في طلبها أبا الحسن الماوردي كوسيط بينه وبين جلال الدولة[٢].

وعلى الرغم من أن البويهيين سلبوا السلطة من الخلفاء العباسيين؛ إلا أنهم كانوا ينظرون إليهم باعتبارهم رؤساء المسلمين، كما أن هؤلاء الخلفاء احتفظوا بسلطتهم الدينية كتعيين القضاة وأئمة المساجد وولاة الحسبة وأمراء الحج[٣].

وفي الوقت الذي كان الأمراء البويهيون ينالون من الخلفاء العباسيين؛ فقد بالغ هؤلاء الخلفاء في تكريم وتعظيم الأمراء البويهيين، فكان الخليفة العباسي يجلس في حفل عام ويقلد الأمير البويهي للسلطنة، ويعطيه عهداً أمام كبار الدولة ويلقبه بألقاب التكريم، ففي سنة ٣٨١ هـ لقب الخليفة القادر بالله الأمير البويهي فيروز بن عضد الدولة، ثم زيدت ألقابه سنة ٣٩٢ هـ فصارت بهاء الدولة، وضياء الملة،

---

(١) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر جـ ٢ ص١٧٤.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم جـ ٧ ص١٦٠.

(٣) فاضل الخالدي: الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق في القرن الخامس الهجري، مطبعة الإيمان، بغداد ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م، ص٢٨.

وغياث الأمة، وقوام الدين صفي أمير المؤمنين.

ووصل الأمر بجلال الدولة في عام ٤٢٣ هـ أن يطلب من الخليفة القائم بأمر الله أن يخطب له بلقب «ملك الملوك» فامتنع الخليفة أول الأمر، ولما استفتى الفقهاء في ذلك أجازه أربعة منهم: القاضي أبو الطيب الطبري، والقاضي أبو عبد الله الصيمري؛ والقاضي ابن البيضاوي؛ والقاضي أبو القاسم الكرخي، وامتنع عن الفتيا قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي، فخطب لجلال الدولة بملك الملوك، وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة، يتردد على داره، ولما أفتى بهذه الفتيا انقطع عنه، ولزم بيته ثلاثة أشهر، ثم استدعاه جلال الدولة وأكرمه، لأنه اتبع سبيل الحق في مخالفة أمر السلطان[١]. وفي عام ٤٤٠ هـ طلب الأمير أبو النصر خسرو فيروز من الخليفة القائم بتلقيبه بالملك الرحيم، فامتنع الخليفة في أول الأمر وقال: لا يجوز أن يلقب بأخص الصفات لله ثم وافق عليه رغم إرادته[٢].

وشارك الأمراء البويهيون الخلفاء في سيادتهم الدينية والسياسية، فمنذ عهد عضد الدولة صار الأمير البويهي يذكر مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة، بل إن عضد الدولة حين اختلف مع الخليفة الطائع حذف

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ٩ ص١٩١، وابن خلدون: العبر جـ ٤ ص٤٨٣.
(٢) ابن الأثير: الكامل جـ ٩ ص٢٢٧، ٢٢٨.



اسمه من الخطبة لمدة شهرين، كما شارك الأمراء البويهيون الخليفة العباسي في نقش أسمائهم على النقود؛ وقد تجرأ بعض الأمراء البويهيين فحذفوا اسم أمير المؤمنين من النقود، واكتفوا بذكر اسمه مجردًا من اللقب، بينما حرصوا على ذكر أسمائهم وألقابهم، وكناهم ويذكر البيروني (٤٤٠ هـ) الذي عاصر كلاً من القادر بالله، والقائم بأمر الله أن الدولة والملك قد انتقلاً من آل عباس إلى آل بويه، والذي بقي بأيدي خلفاء الدولة العباسية إنما هو أمر ديني واعتقادي، وليس ملكًا دنيويًا. والقائم الآن (أي في عهده) هو رئيس الإسلام لا ملك(١).

وحاول معز الدولة البويهي نقل الخلافة من البيت العباسي إلى أحد العلويين، يقول ابن الأثير: إنه استشار جماعة من خواصه، ولكن حذره بعضهم من سخط الناس ومخالفتهم؛ لأن العامة في الأقطار الإسلامية اعتادوا الدعوة للعباسيين؛ وأطاعوهم طاعة لله ورسوله، كما أن معز الدولة خشي على نفوذه في العراق من وجود خلافة علوية قوية تزلزل مركز البويهيين؛ فعدل عن رأيه وآثر أن يستبد بالسلطة في ظل خليفة عباسي ضعيف على أن يكون تابعًا لخليفة قوي يعترف بإمامته(٢).

---

(١) البيروني: الآثار الباقية من القرون الخالية ص١٣٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل جـ٨ ص١٤٩.

ولم يقتصر النزاع بين الأمراء والخلفاء بل امتد إلى البيت البويهي نفسه، وبدأ النزاع بوفاة ركن الدولة الحسن بن بويه ٣٦٦ هـ، وظهر فريق آخر من البويهيين ممثلاً في أبناء ركن الدولة ومعز الدولة، وقد تجلى في عهدهم النزاع والتنافس مما أدى إلى زوال ملكهم في العراق وبلاد الفرس على أيدي السلاجقة الأتراك، وكان أبو الحسن يقوم بإصلاح ذات البين بينهم، فقد حدث خلاف بين جلال الدولة وأبي كاليجار، وقد رأى الخليفة القائم بالله ٤٢٨ هـ أن يضع حدا لخلافهما، فأرسل أبا الحسن الماوردي على رأس الوفد المفاوض الذي بعث به الخليفة إلى أبي كاليجار، واستقر الرأي عام ٤٢٩ هـ على عقد صلح بينهما على أن تكون البصرة لأبي كاليجار[١].

وفي عام ٤٤٧ هـ في عهد القائم بالله زال سلطان بني بويه، وظهرت سلطة جديدة متمثلة في الأتراك السلاجقة في شخصية البساسيري الذي قبض على الخليفة القائم بالله وسجنه، وكان ذلك عام ٤٥٠ هـ أي السنة التي مات فيها أبو الحسن الماوردي ويروى أن القائم بالله كتب قصته وأرسلها لتعلق على أستار الكعبة، واشتكى إلى الله ظلم البساسيري، واستجاب الله دعاءه ففي عام ٤٥٥ هـ قبض طغرلبك على أخيه البساسيري، وقتله، ورجع الخليفة إلى داره، ولم ينم إلا على

---

(١) ابن الأثير، نفس المصدر: جـ ٩ ص١٨٩.

فراش مصلاه إلى أن مات عام ٤٦٧ هـ[١].

وفي الجانب الديني: كثيرًا ما كانت تحدث فتن ومعارك بين أهل السنة المؤيدين من الخليفة والشيعة المؤيدين بالبويهيين، فقد حدثت بينها فتنة في عام ٣٩٨ هـ عندما كتبت الشيعة قرآنًا محرفًا ونسبوه إلى ابن مسعود فأحرقه أبو حامد الإسفراييني، فتجمع حول داره بعض الشيعة وكادوا يقتلونه[٢].

لقد كان التشيع مأوى يأوي إليه كل من يريد أن يكيد للإسلام، أو إدخال تعاليم آبائه من يهودية، ونصرانية، وفارسية، أو يريد استقلال بلاده عن دولة الإسلام. كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل الرسول ستارًا يضعون وراءه كل ما تشاء لهم الأهواء، فاليهودية ظهرت في التشيع في قول بعضهم أن نسبة الإمام علي إلى الله كنسبة المسيح إلى الله لدى النصارى[٣].

أما المجتمع الذي عاش فيه أبو الحسن الماوردي فقد كان **مجتمعًا طبقيًّا** انقسم فيه المجتمع إلى أربع طبقات: طبقة الخلفاء والسلاطين والملوك، وطبقة الوزراء وكبار أصحاب المناصب كرؤساء الجند والقضاة،

---

(١) جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٤٨.
(٢) نفس المصدر السابق: ص٤١٤.
(٣) الشيخ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص٣١، ٣٢.

وطبقة الأثرياء الذين يتحكمون في اقتصاد الدولة، وطبقة العوام وهم سواد المجتمع، وهم الطبقة الدنيا.

ويمكن أن نقول: إن أبا الحسن الماوردي في فترة نضوجه الديني والسياسي، وتأثره بالمجتمع قد عاصر الخليفتين: القادر بالله، والقائم بالله، فقد توليا الخلافة في الفترة من عام ٣٨١ هـ إلى ٤٦٧ هـ كما عاصر أبو الحسن الماوردي من الأمراء البويهيين: بهاء الدولة، وسلطان الدولة، وشرف الدولة، وجلال الدولة، وأبو كاليجار، والملك الرحيم.

المطلب الثاني

معالم حياة الماوردي

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ولد بالبصرة عام ٣٦٤هـ/ ٩٧٤ م، ورحل إلى بغداد وتعلم بها، وعلم فيها. واشتغل بالقضاء في البصرة وبغداد، وصل إلى منصب قاضي القضاة عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧ م.

واشتهر الماوردي في الفكر الإسلامي ببحوثه السياسية، وتكاد أن تكون تلك هي صبغته. فكتب كتابه الهام الذي ارتبط بالسلطنة كتابًا سماه باسمه، فيقال صاحب كتاب: «الأحكام السلطانية»، كما أفرد للوزارة كتابًا ضمنه «قوانين الوزارة»، كما ألف كتاب: «تسهيل النظر وتعجيل الظفر» وهو أيضًا في السياسة. وقد ساعد الماوردي في كتاباته السياسية قربه من الخلفاء والملوك والوزراء وعمل سفيرًا بينهم وبين خصومهم السياسيين.

وكان الماوردي أديبًا لغويًا، أثرى الأدب العربي، كما كتب في الأخلاق والتربية، كما وثقه بعض علماء الجرح والتعديل في الحديث، وكان فقيهًا شافعيًا مجتهدًا ينهج نهجًا علميًا يكاد يكون حديثًا، فيعرض لوجهات النظر المتعارضة والمختلفة في المسألة الواحدة ويرجح

بينها، وينتهي لرأي، يرى فيه وجه الحق والصواب حتى انتهت إليه زعامة الشافعية في عصره.

وانفرد في تفسيره ببعض الاتجاهات التي تدل على أصالة وعمق في التفكير. وتتميز جميع كتاباته بأسلوب واضح بليغ ينتقي ألفاظه ومعانيه، ويؤلف بينها كأنها شعر منثور.

وكان أخلاقيًا في سيرته ومعاملاته بين الناس. وعمر طويلاً فعاش ستًا وثمانين سنة، ومات سنة ٤٥٠ هـ/١٠٥٨ م، ودفن ببغداد بباب حرب.

شيوخه:

تتلمذ الماوردي على يد شيخين كبيرين:

أحدهما: أبو القاسم عبد الواحد بن الحسين الصيمري، ولم نجد شيئًا كثيرًا عنه في كتب التراجم وكل ما وصلنا إليه أنه سكن البصرة وارتحل إليه الناس من أماكن كثيرة، وكان حافظًا للمذهب الشافعي ومصنفًا فيه. وكان الماوردي يخرج مع جماعة تحيط بالصيمري، ومن تصانيفه: الإيضاح في الفروع، ويقع في سبعة مجلدات، وله كتاب الكفاية، وكتاب في القياس والعلل، وكتاب صغير في أدب المفتي والمستفتي، وكتاب في الشروط. وتوفي الصيمري بعد

عام ٣٨٠ هـ[1]. وقد وضحت آثار هذه الكتب في مؤلفات واتجاهات الماوردي.

الثاني: الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني: انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا في بغداد، وكان يتميز بالشجاعة في إبداء الرأي وما يعتقد أنه الحق، ويجهر به أمام السلطان. وقع من الخليفة أمير المؤمنين ما أوجب أن يكتب إليه الشيخ أبو حامد: «اعلم أنك لست بقادر على عزلي من ولايتي التي ولانيها الله تعالى، وأنا قادر أن أكتب رقعة إلى خراسان بكلمتين أو ثلاث أعزلك من خلافتك»[2]. هذه دلالة على ما كان يتمتع به الإسفراييني من الشجاعة وقوة التأثير وكثرة الأتباع.

ولقد تركت هذه الشجاعة طابعها المميز في تلميذه الماوردي فقد

---

(١) أبو إسحاق الشيرازي: طبقات الفقهاء تحقيق الدكتور إحسان عباس طبعة بيروت ١٩٧٠ ص١٢٥، وابن هداية الله الحسيني الملقب بالمصنف: طبقات الشافعية ص٤٣، وابن الجوزي: المنتظم جـ٨ ص١١٩، والأسنوي: طبقات الشافعية، طبعة وزارة الأوقاف العراقية جـ٢ ص١٢٧، والخضري: تاريخ التشريع الإسلامي ص٢٢٦، وعبد الله مصطفى المراغي: طبقات الأصوليين جـ١ ص٢١٠.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي طبعة أولى ١٩٦٦، مطبعة عيسى الحلبي جـ٤ ص٦٤.

اعترض الماوردي على تسمية جلال الدولة «ملك الملوك» على الرغم من صداقته له، فضلاً عما اشتهر به جلال الدولة من استبداد، مما دعا فقهاء عصره إلى جواز هذه التسمية، واستند لحديث النبي ﷺ يقول فيه: «**إن أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاك**»(١).

ولزم الماوردي دَارَه إلى أن أرسل إليه جلال الدولة وقال له: «قد علم كل أحد أنك أكثر الفقهاء مالاً وجاهًا وقربًا منا، وقد خالفتهم فيما خالف هواي، ولم تفعل ذلك إلا لعدم المحاباة منك واتباع الحق. وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم، وأسند إليه منصب قاضي القضاة»(٢).

ولقد قضى أبو حامد الإسفراييني حياته ببغداد مشغولاً بالعلم حتى صار أوحد وقته، وانتهت إليه الرئاسة وعظم جاهه عند الملوك والعوام(٣).

---

(١) المنذري: مختصر صحيح مسلم ضبط وترقيم محمد ناصر الألباني، طبعة الكويت ١٩٦٩ جـ٢ ص١٣٤، ١٣٥ كما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة، صحيح البخاري ضبط وترقيم د. مصطفى البغا جـ٥ ص٢٢٩٢ رقم **٥٨٥٣**، واللفظ لمسلم.

(٢) القلقشندي (٨٢١ هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء جـ٦ ص١٦، ١٧، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٩ ص١٧١.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، المجلد الرابع، مطبعة السعادة بمصر، ص ٦٠٨.

ويقول عنه صاحب كتاب مفتاح السعادة: «انتهت إليه رياسة الدين والدنيا ببغداد، وطبق الأرض بالأصحاب. وجمع مجلسه ثلاثمائة متفقه. وقيل سبعمائة فقيه، وكان الناس يقولون لو رآه الشافعي لفرح به. وكان عظيم الجاه عند الملوك مع الدين الوافر، والورع والزهد واستيعاب الأوقات بالتدريس والمناظرة ومؤاخذة النفس على دَقيق الكلام ومحاسبتها على هفوات اللسان، وكان أبو الحسين القدوري من الحنفية يعظمه على كل أحد، وقد توفي أبو حامد الإسفراييني ٤٠٦ هـ»[١].

كما تتلمذ الماوردي في **الأدب والشعر** على يد: عبد الله بن محمد البخاري الملقب **بالشيخ الإمام أبي محمد البافي الخوارزمي (المتوفى ٣٩٨ هـ)** الشافعي المذهب، كان فقيهًا أديبًا فصيحًا شاعرًا يرتجل على البديهة[٢].

ويقول عنه الثعالبي: «إن له لسانًا يستوفي أقسام الفصاحة ويجمع بين العذوبة وحسن العبارة والبراعة، وشعر يشرف بصاحبه ويأخذ من القلب بمجامعه»[٣]، ويبدو أن نزعته الشعرية قد ألقت بظلالها وتركت

---

(١) بطاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ومصابيح السيادة تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور جـ ٢ ص٣١٨.

(٢) ابن تغري: النجوم الزاهرة جـ ٤ ص٢١٩.

(٣) الثعالبي: يتيمة الدهر جـ٣، مطبعة الصاوي ١٣٥٣ هـ-١٩٣٤ م، ص ٦٠٨.

آثارها عند تلميذه الماوردي في كثير من مؤلفاته.

وكان من شيوخ الماوردي في الحديث: **الحسن بن علي بن محمد الجبلي**[١].

ومحمد بن عدي المنقري[٢] ومحمد بن المعلى الأزدي[٣] وجعفر ابن الفضل البغدادي المعروف بابن المارستاني[٤] المتوفى بعد سنة ٣٨٤هـ.

تلاميذ الماوردي:

تخرج على الماوردي جماعة من التلاميذ برز منهم:

---

(١) انظر في ترجمته: ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب تحقيق المعلمي اليماني، طبعة حيدر آباد الأولى، ص٢٦٤، والسمعاني: الأنساب ص١٢١ب، وابن الأثير: اللباب جـ١ ص٢٠٨، وابن حجر العسقلاني: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ص٢٩٤، وتاريخ بغداد للخطيب جـ٢ ص١٠٢.

(٢) الأنساب ص ٥٤٣ب، والكامل طبعة بيروت جـ١ ص٦١١، واللباب جـ٢ ص١٨٤.

(٣) معجم الأدباء جـ٤ ص٧٧، جـ٩ ص٥٥، وحول نسبته راجع الأنساب ٢٧ب واللباب جـ١ ص٣٦، وحول حديثه: تاريخ بغداد جـ١٢ ض١٠٢ والأنساب ٥٠٤ أو السبكي جـ٥ ص٢٦٧.

(٤) تاريخ بغداد جـ٧ ص٢٣٣، والمنتظم جـ٧ ص١٧٧، وميزان الاعتدل جـ٢ ص١٩٢ طبعة أولى، ولسان الميزان جـ٢ص١٢٤.

١ - **الخطيب البغدادي**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت[١] صاحب كتاب «تاريخ بغداد» (المتوفى ٤٦٣ هـ)، الفقيه الحافظ أحد الأئمة المشهورين.

٢ - **ابن خيرون**، أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي[٢] (المتوفى ٤٨٨ هـ).

٣ - عبد الملك إبراهيم بن أحمد، **أبو الفضل الهمذاني** الفرضي المعروف بالمقدسي[٣] (المتوفى ٤٧٩ هـ). وهو من همذان، وسكن بغداد، وتوفي بها، وكان من أئمة الدين وأوعية العلم، وحدث بالسير. وكان يحفظ غريب الحديث لأبي عبيد (٢٢٤هـ)[٤]، ومجمل اللغة لابن فارس، وكان زاهداً ناسكًا عابداً متورعًا، وكان في الفرائض والحساب وقسمة التركات إمام عصره، ورفض تولي القضاء، ويقال إنه

---

(١) معجم الأدباء جـ٤ ص١٣، وابن تغري: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٨٧ والأنساب ص٢٠٠ب، والعبر جـ٣ ص٢٥٣، وفيات الأعيان جـ١ ص٧٦.

(٢) ترجمته في ميزان الاعتدال رقم ٤٣٢، والوافي بالوفيات جـ٥ ص٧٦ والبداية والنهاية جـ١١ ص١٤٩ وفيه أنه الحسن بن أحمد بن خيرون، وطبقات الجزري ص٤٦، ولسان الميزان جـ١ ص١٥٥.

(٣) ترجمته في طبقات الشافعية للأسنوي جـ٢ص٥٢٩، وطبقات ابن السبكي جـ٥ ص١٢٣و ١٦٢-١٦٤.

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام، فقيه مجتهد، وكان يحسن كل شيء، وولي القضاء بطرسوس، ومات سنة أربعة وعشرين ومائتين بمكة، وهو ابن سبع =

كان معتزليًا، ويقول عنه الخطيب البغدادي: إنه أخذ الفقه عن الماوردي.

٤ ـ محمد بن أحمد عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق

(٤٩٤ هـ) ويكنى أبو الفضائل، ويذكر صاحب طبقات الشافعية إنه تفقه على الماوردي وسمع الحديث من أبي إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي، والقاضي أبي الطيب الطبري، وكتب الكثير من كتبه بخطه[١].

= وستين سنة. وطبقات الفقهاء للشيرازي تحقيق إحسان عباس ص٩٢، والفهرست لابن النديم ص١١٢.

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي جـ ٤ ص١٠٢.

المطلب الثالث

وفاته وآثاره العلمية وثناء الأئمة والعلماء عليه

مات الماوردي سنة ٤٥٠ هـ، عن ست وثمانين سنة، ودفن ببغداد.

وأفردنا للماوردي كتابًا عرضنا فيه لترجمته، وأشرنا فيه إلى مؤلفاته بالتفصيل، وقدمنا نماذج منها فنحيل إليه من أراد التوسع[١]، ونكتفي بالإشارة إليها:

١ - مختصر علوم القرآن:

وثابت نسبة هذا الكتاب بما أفرده الماوردي نفسه في مقدمته لكتاب أمثال القرآن، ولم يحظ هذا الكتاب بالإثبات في المصادر التاريخية التي بين أيدينا، ويبدو لنا أنه مفقود.

٢ - أمثال القرآن:

وقد أفرد هذا الكتاب لأمثال القرآن بالشرح والبيان والإيضاح والتبيين، وتوجد منه نسخة في تركيا[٢] وذكره السيوطي واستفاد منه[٣].

---

(١) من أعلام الإسلام: أبو الحسن الماوردي، طبعة مؤسسة شباب الجامعة ١٣٩٧هـ.

(٢) نوادرالمخطوطات في مكتبات تركيا ٢ : ٤٠.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٣١.

٣ ـ النكت والعيون:

وهو التفسير الكبير له ضمنه أقوال الصحابة والتابعين والمفسرين من قبله، وعرض لما يرجحه منها وأدلى ببعض آرائه في بعض الأحيان، حققه الشيخ خضر حسن خضر، وطبعته وزارة الأوقاف الكويتية في أربع مجلدات.

٤ ـ الحاوي:

وهو الشرح الكبير لمختصر المزني، ولم يطلع عليه أحد إلا شهد للماوردي بالتبحر في الفقه عامة، والفقه الشافعي خاصة، وكان الكتاب في أجزائه المتعددة محلاً لأطروحات في الدكتوراه في كليات الشريعة بجامعة أم القرى، وجامعة الأزهر، وطبع من هذه الرسالات:

من أول الحاوي حتى نهاية غسل الجمعة والعيدين، تحقيق راوية أحمد الظهار، وحصلت به على درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة أم القرى، وكتاب «الحدود» تحقيق إبراهيم صندقجي، حصل به على ذات الدرجة في ذات الكلية والجامعة، وكتاب «أدب القاضي» تحقيق محيي هلال السرحان، حصل به على درجة الماجستير في الشريعة من جامعة الأزهر.

وطبع الحاوي كاملاً تحقيق وتعليق الدكتور محمود مطرجي وساهم معه الدكتور ياسين الخطيب بكتاب الزكاة، والدكتور

عبد الرحمن الأهدل بكتاب النكاح، والدكتور أحمد حاج ماحي بكتاب الفرائض والوصايا[١].

٥ ـ الإقناع:

موجز دقيق للفقه الشافعي في صفحات معدودة، أعجب به الخليفة القادر وأثنى عليه[٢]، عثر على نسخة منه وحققه الأستاذ خضر محمد خضر المدرس بالكويت.

٦ ـ الأحكام السلطانية:

طبع أكثر من مرة ولم يحظ بتحقيق علمي جاد للآن، وقد وقع بين أيدينا بعض نسخ من مخطوطاته، فتبين لنا أن في الطبعات المتداولة نقص وقصور، وفي النية التحقيق إن جعل الله لنا في العمر بقية.

٧ ـ قوانين الوزارة:

قمنا بتحقيقه بالاشتراك مع الدكتور محمد سليمان داود، وطبع أكثر من مرة.

---

(١) نشرته دار الفكر، بيروت ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م، وهناك طبعة أخرى تحقيق الشيخ علي معوض، وعادل عبد الموجد، نشرة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م. وهي طبعة غير دقيقة.

(٢) وقال له: حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا. معجم الأدباء تحقيق أحمد رفاعي ج ١٥ ص ٥٥.

٨ ـ تسهيل النظر وتعجيل الظفر :

في أخلاق الملك وسياسة الملك حققه الأخ محيي هلال السرحان، وقدم له وراجعه الدكتور حسن الساعاتي[١]؛ كما حققه الدكتور رضوان السيد.

٩ ـ أدب الدنيا والدين:

عرض فيه الماوردي للمبادئ الخلاقة في تكوين الفرد والجماعة واستند فيه إلى الكتاب والسنة ومنثور الكلم ومنظومه، ومزج بين تراث العرب وتراث الأمم الأخرى. حسن الصياغة والسبك، مفيد في التربية والأخلاق.

١٠ ـ الفضائل:

مخطوط، يوجد منه نسخة في الأسكوريال[٢]، ويبدو لي من عنوانه أنه جزء من كتاب أدب الدنيا والدين أو تسهيل النظر.

---

(١) حقق الكتاب على نسختين، أحدهما مختصرة ونضيف بوجود نسخة كاملة بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية التابعة لجامعة لندن برقم (٣:٤٥٨).

(٢) بروكلمان: ١ / ٣٣٦ والملحق ١ :٦٦٣، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ :٣٣٥ والزركلي ٥:١٤٧، وتاريخ الأدب العربي لفروخ ٣ :١٤١.

١١ ـ العيون في اللغة:

قال عنه ياقوت الحموي «رأيته في حجم الإيضاح أو أكبر»[١] والإيضاح كتاب في النحو لأبي علي الفارسي (المتوفى ٣٣٧ هـ). وكتاب العيون مفقود.

١٢ ـ الأمثال والحكم:

حققناه وطبع أكثر من مرة.

١٣ ـ أعلام النبوة:

أثنى عليه طاش كبرى زاده واعتبره أنفع الكتب في دلائل النبوة[٢].

مكانة الماوردي العلمية وثناء الأئمة عليه:

اتصف الماوردي ـ كما يقول بحق الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ بصفات جعلته في الذروة بين رجال العلم عبر التاريخ الإسلامي هي:

١ ـ ذاكرة واعية، وبديهة حاضرة، وعقل مستقيم.

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٥ ص ٥٤.

(٢) مفتاح السعادة ١ : ٣٢٢.

٢ ـ اتزان في القول والعمل.

٣ ـ الحلم وضبط النفس.

٤ ـ التواضع وإبعاد النفس عن الغرور، وكان حييًا شديد الحياء، وفيه وقار وهيبة.

٥ ـ الإخلاص[١].

وكان الماوردي محل تقدير جل العلماء لهذه الصفات فيقول عنه مؤرخ الإسلام الذهبي: «كان ـ الماوردي ـ إمامًا في الفقه والأصول والتفسير بصيرًا بالعربية»[٢].

ويقول عنه الشيرازي: «له مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والآداب وكان حافظًا للمذهب»[٣].

ووصفه الخطيب البغدادي (تلميذه)، فقال: «كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين»[٤].

وقال السبكي عن الماوردي: «كان إمامًا جليلاً رفيع الشأن له اليد

---

(١) أبو الحسن البصري الماوردي، مقالة بمجلة العربي الكويتية، يوليو ١٩٦٥ ص٥٢، ٥٣.
(٢) العبر: ٣: ٢٢٣.
(٣) طبقات الفقهاء: ١١٠، وطبقات الشافعية للأسنوي ٢: ٣٨٨.
(٤) تاريخ بغداد ١٢: ١٥٢.

الباسطة في المذهب، والتفنن التام في سائر العلوم»[١].

وقال ابن الأثير: «كان الماوردي: حليمًا وقورًا أديبًا»[٢].

وذكره تغري بردي فقال: «الإمام الفاضل.. صاحب التصانيف الحسان .. وكان محترمًا عند الخلفاء والملوك»[٣].

ومن الدراسات الحديثة عن الماوردي قال الدكتور عمر فروخ فيه: «كان ـ الماوردي ـ مصنفًا قديرًا بارعًا تدل كتبه على مقدرة في التفكير وبراعة في التعبير»[٤].

وقال محمد كرد علي: «الماوردي من أعظم الكتاب، معتدل في تأليفه، هادئ في أفكاره، أوحد في فنه وفهمه، محمود الطريقة، مطمئن النفس، حريص على الاستفادة، بعيد عن الدعوى والهوى... ولم يقتصر الماوردي على الأخذ عن الشيوخ، وتصفح ما خلفه من تقدموه بل قرن إلى علمه تجارب تنبئ عن نفسها، ومعارف منوعة لقفها من الحياة وما عاناه من مشاكل العالم..»[٥].

---

(١) طبقات الشافعية ٥:٢٦٣، ومعجم الأدباء ٥:٤٥٧. يقول ياقوت عنه: «كان عالمًا بارعًا متفننًا».

(٢) البداية والنهاية ١٢:٨٠.

(٣) النجوم الزاهرة: ٥:٦٤ وفي نفس المعنى شذرات الذهب ٣:٢٣٦.

(٤) تاريخ الأدب العربي ٣:١٤٥.

(٥) كنوز الأجداد ٢٤١، ٢٤٢.



المبحث الثاني

الكتاب: درر السلوك في سياسة الملوك

نعرض فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : مدى نسبة الكتاب إلى أبي الحسن الماوردي.

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب وقيمته العلمية وأثره في مؤلفات الماوردي السياسية.

المطلب الثالث: وصف المخطوط، ومنهج التحقيق.

المطلب الأول

مدى نسبة درر السلوك في سياسة الملوك للماوردي

أشار إليه ابن خلكان، والسبكي، وطاش كبرى زاده، وحاجي خليفة والصفدي بعنوان «سياسة الملك»[١].

وأشار الماوردي نفسه إلى درر السلوك في كتابه: «أدب الدنيا والدين» فقال: «وقد أفردنا للسياسة كتابًا لخصنا فيه من جملها ما ليس يحتمل هذا الكتاب زيادة عليها»»[٢].

وورد في مقدمة درر السلوك ما نصه:

«وقد دعاني صدق الطاعة إلى إنشاء كتاب وجيز ضمنته من جمل السياسة ما إذا كان الملك قد علم أضعافه بحسن بديهته وأصيل رأيه

---

(١) وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس ٣:٢٨٢، طبقات الشافعية الكبرى ٥:٢٦٧ واعتبر المحققان «قوانين الوزارة وسياسة الملك» كتابًا واحدًا في الطبعة الأولى ثم كتابين في الطبعة الثانية، كشف مفتاح السعادة ومصباح السيادة تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ١٠:٣٢٢، كشف الظنون ٢:١٠١١، الوافي بالوفيات ٢١:٤٥ رقم ٣١٠.

(٢) حققه وعلق عليه: مصطفى السقا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الرابعة، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ م ص٢١٢.

فإني لن أعدم أن أكون قد أديت لوازم الطاعة ما يحسن موقعه. . . »[١].

إن كتاب « درر السلوك في سياسة الملوك » ألفه الماوردي في مرحلة مبكرة من حياته حوالي سنة ٣٩٣ هـ، وعمره قرابة تسع وعشرون سنة لأنه قدم الكتاب لبهاء الدولة: أبو نصر، أحمد بن عضد الدولة بن بويه، الذي تولى إمارة بغداد سنة ٣٧٩ هـ، وظل واليها قرابة أربع وعشرين سنة، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ[٢].

وقال الماوردي في مقدمة « درر السلوك »: « الحمد لله الذي جعل الحق معزًا لمن اعتقده وتوخاه، ومعينًا لمن اعتمده وابتغاه، وجعل الباطل مُذِلاً لمن آثره وارتضاه، ومَذَلاً لمن أظهره واقتفاه، واختص ملك الملوك بهاء الدولة وضياء الملة وغياث الأمة باعتقاد الحق واجتناب الباطل حتى تمكن من نواصي من راده ومانعه، وجعل له من ولده سندًا يظاهره وعضدًا يؤازره. . . » وقال: « . . . فكان ملك الملوك بهاء الدولة ممن خصه الله باسترعاء خلقه، واستودعه حفاظ حقه، وجعلنا أهل طاعته نتمسك بعصم الموالاة، ونمت بإخلاص المصافاة، وأخلص الرعية طاعة من كان لحق الرعية مذكرًا، وبحق سلطانه معترفًا،

---

(١) درر السلوك (ق٣/أ).

(٢) انظر في ترجمة بهاء الدولة: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧ / ١٨٥، ١٨٦، المنتظم لابن الجوزي جـ ١٤ ص٣٣٨، ٣٣٩ وجـ ١٥ ص٩٥، الوافي بالوفيات اعتناء إحسان عباس ٧: ٢٩.

وقد دعاني صدق الطاعة إلى إنشاء كتاب وجيز...»[١].

لقائل أن يقول: إن هذا الكتاب قدم لجلال الدولة لأنه الذي طلب رسميا التلقب «بملك الملوك» وكان له الماوردي صديقًا، وأفتى بعدم جواز التلقب بهذا اللقب على الرغم من إجازة بعض فقهاء عصره[٢].

قال ابن كثير: «لما قدم السلطان (جلال الدولة) قربه وأدناه وحظي عنده وأكرمه لما كتب في تلقيبه الملك شاهنشاه، وتنازع الفقهاء في جواز ذلك فسوغه القاضي أبو الطيب ومنع ذلك الماوردي، وما زاده ذلك من الملك إلا قربًا وحظوة»[٣].

من أجل وضع المسألة وضعها الصحيح يتعين استقراء الواقع التاريخي، ويتبين من خلاله أن بهاء الدولة تولى السلطنة للطائع بالله، وكان سنة ٣٧٩ هـ بعد وفاة أبيه وبعهد منه، وكان عمر بهاء الدولة

(١) درر السلوك (ق٢/أ-ب، ٣/أ)، (انظر اللوحات المرفقة في ختام الدراسة.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩: ١٩١.

(٣) طبقات الشافعية لابن كثير، مخطوط، بجامعة برسون رقم ٤٩٩٣، ق/٢٦٣ب، وانظر المطبوع بعنوان (طبقات الفقهاء الشافعيين): تحقيق وتعليق وتقديم الدكتور أحمد هاشم والدكتور محمد زينهم مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٣م-١٤١٣ جـ١ص٤١٩ وفي نفس المعنى: صبح الأعشى للقلقشندي جـ٥ ص١٧.



وقتذلك ١٨ سنة (ثمان عشرة سنة)، ولقبه الطائع بالله بهاء الدولة وضياء الملة[١]، وأكره بهاء الدولة الخليفة الطائع بالله أن يتنازل عن الخلافة للقادر بالله، وكانت بينهما صلة[٢] حدت بالخليفة القادر أن يبعث له خطابًا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى بهاء الدولة وضياء الملة أبي نصر بن عضد الدولة وتاج الملة... فقد أصبحت وأمسيت سيف أمير المؤمنين لأعدائه، والحاظي دون غيرك بجميل رأيك، والمستبد بحماية حوزته، ورعاية رعيته، والسفارة بينه وبين ودائع الله عنده»[٣].

وثابت في أحداث ذي القعدة من سنة ٣٨١ هـ أن القادر بالله أضاف إلى ألقاب بهاء الدولة «غياث الأمة» وخطب بذلك على المنابر[٤].

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، جـ ١٤ ص٣٣٨.

(٢) فبهاء الدولة هو الذي خلع الطائع بالله، وأظهر أمر القادر على الرغم من هرب القادر من الطائع بالله، انظر: المنتظم ١٤ :٣٣٧، ٣٣٨.

(٣) المنتظم ١٤ : ٣٥٠، ٣٥١.

(٤) المنتظم ١٤ :٣٥٦.

إن لقب « ملك الملوك » هو ما كان يجري عليه العمل في مخاطبة بهاء الدولة لأنه من أصل فارسي، وكان اللقب الشائع لديهم « شاهنشاه » أي « ملك الملوك ».

إن كتاب « درر السلوك » كتب بعد سنة ٣٩٢ هـ؛ لأن مقدمة الكتاب تضمنت دعوة من الماوردي لولد بهاء الدولة بقوله:

« وجعل له من ولده سندًا يظاهره وعضدًا يؤازره » وكان أول أولاد بهاء الدولة سلطان الدولة الذي ولد سنة ٣٨٣ هـ، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٤٠٣ هـ[١].

وفي ٩ من ذي الحجة ٣٩٢ هـ ولد لبهاء الدولة توأمان: الأمير أبو الحسن وأبو الحسين، وعاش أبو الحسين بضع سنين ومات، وبقي أبو الحسن وملك الإمرة بالحضرة ولقب مشرف الدولة[٢]. ويبدو لي أن سن الماوردي وقت تأليف « درر السلوك » كان مقاربًا لسن بهاء الدولة.

وصلة الماوردي بملوك بني بويه بدأت منذ وقت مبكر من عمره، يؤكد هذا ما دونه ياقوت الحموي في ترجمته إذ يقول: « كان ذا منزلة من ملوك بني بويه، يرسلونه في التوسطات بينهم وبين من يناوئهم،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧: ١٨ ترجمة رقم ١٤.

(٢) المنتظم جـ ١٤: ٣٣٠.

ويرتضون وساطته، ويقفون بتقريراته»[1] يتضح من هذا تكرار وساطته وتعددها فهي ليست وساطة واحدة كما يرى البعض، ولم تكن صداقته قاصرة على جلال الدولة فحسب.

وكان الإمام الماوردي يحاسب نفسه أوابًا إلى الحق، وقد تبين له أن تلقيب «بهاء الدولة» بملك الملوك لم يكن موفقًا فيه، فعندما طلب ذلك «جلال الدولة» رسميًا امتنع عن الإفتاء به لوقوفه على النص، وهو قول الرسول ﷺ: «**أَخْنَعُ الأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ، رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأملاكِ، لا ملك الأملاك إلا الله**[2]»، ويؤيد ابن الجوزي وجهة الماوردي في مقابلة فقهاء عصره[3].

ارتأى الماوردي مع علو سنه وطول تجربته أن يجرد رسائله وكتبه ممن قدمت إليهم.

ننتهي إلى أن كتاب السياسة الذي أشار إليه الماوردي في «أدب الدنيا والدين» هو «درر السلوك في سياسة الملوك» وقد ألفه وعمره قرابة تسع وعشرين عامًا، سنة ٣٩٣ هـ.

---

(١) معجم الأدباء ١٥: ٥٣.

(٢) رواه الشيخان عن أبي هريرة. صحيح البخاري ضبطه ورقمه الدكتور مصطفى البنا جـ ٥ ص٢٢٩٢ رقمي ٥٨٥٢، ٥٨٥٣، كتاب الأدب، باب: أبغض الأسماء إلى الله، صحيح مسلم ضبطه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي جـ٣، ص ١٦٨٨ رقم ٢١٤٣، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الملوك.

(٣) المنتظم ١٥: ٢٦٥.

المطلب الثاني

القيمة العلمية

لكتاب «درر السلوك في سياسة الملوك»

التعريف بالكتاب:

بدأ أبو الحسن الماوردي كتابه: «الحمد لله الذي جعل الحق معزاً لمن اعتقده وتوخاه ومعيناً لمن اعتمده وابتغاه ...» وبين دافعه إلى الكتاب هو تقديمه لبهاء الدولة وضياء الملة وغياث الأمة: أبو النصر، أحمد بن عضد الدولة بن بويه، الذي تولى إمارة بغداد سنة ٣٧٩ هـ، وظل واليها قرابة أربع وعشرين سنة، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ لأنه «ممن خصه الله باسترعاء خلقه، واستودعه حفاظ حقه، وجعلنا أهل طاعته نتمسك بعصم الموالاة، ونمت بإخلاص المصافاة، وأخلص الرعية طاعة من كان لحق الرعية مذكراً، وبحق سلطانه معترفاً، وقد دعاني صدق الطاعة إلى إنشاء كتاب وجيز ضمنته من جمل السياسة ما إن كان الملك قد حاز علم أضعافه بحسن بديهته وأصيل رأيه، فإني لن أعدم أن أكون قد أديت من لوازم الطاعة ما يحسن موقعه...».

وقدم الماوردي لكتابه قبل تقسيمه له: بأن الإنسان كائن اجتماعي ـ مدني بطبعه ـ وأن الناس مختلفين ولا بد من حاكم أو راعٍ يحرس

الرعية، ويقيم فيها العدل والحق، ويحقق لها المصالح ويدرأ عنها المفاسد، وأن على الرعية صدق الطاعة بالمؤازرة والتعضيد. وقسم كتابه إلى قسمين:

الأول: في أخلاق الملك:

بين الماوردي الأخلاق بين المطبوع والمصنوع (المتكلف)، وأن شريف الأخلاق ثمرته شريف الأفعال، وأن النبي الخاتم ﷺ أعلى المراتب في مكارم الأخلاق، وعلى الملك الاقتداء به، لأن الناس على دين ملوكهم، وعلى الملك أن يتحلى بالفضائل وفي مقدمتها: العلم والعدل والشورى وعدم الاستبداد بالرأي والنجدة؛ وأن يتجنب الرذائل مثل الكبر والإعجاب والكذب والغضب، واللجاج، والغلظة والقسوة والبخل والجفاء.

والباب الثاني: في سياسة الملك:

بين الماوردي أن الدين أساس للملك (السلطة) والملك حارس للدين، ولا بد للملك من أس، ولا بد للأسّ من حارس، لأن ما لا حارس له ضائع، وما لا أس له منهدم. وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وعلى الحاكم أن يلتزم أحكام الدين، فبه يتحقق العدل الشامل في ملكه، والأمن العام على الأنفس والأموال والأعراض.

وينبه الماوردي بهاء الدولة إلى تدبير الجند بسداد حاجاتهم بدقة وسرعة لتظل هيبته فيما بينهم، ثم يطلب إليه إنصافهم حسب أقدارهم وغنائهم لا حسب الحب والبغض، وعليه أن يضع عيونًا على صغارهم وكبارهم للمجيء إليه بأخبارهم كلها خشية حدوث مؤامرات عليه في صفوفهم.

ووضح أن السياسة المالية للملك تقوم على تقدير الأموال، وأن الدولة المزدهرة هي التي يزيد دخلها على خرجها، والعكس بالعكس، أما الدولة المكتفية فهي تلك التي تصرف بقدر ما يدخل إليها، وبين له أهمية النقود وأثرها في استقرار المعاملات بين الناس، واستقرار الحكم والملك. وينهي الماوردي كتابه بتفقد أحوال رعيته، وسياسة فئات الرعية كل فئة بما يناسبها.

مصادر الكتاب:

اعتمد أبو الحسن الماوردي في كتابه على مصادر متنوعة: فاستدل بالكتاب ورجع إلى دواوين السنة، وكتب السير والأخبار، وركز على تجربة الفرس في الحكم واستشهد بعهودهم؛ لأنه أهدى الكتاب لحاكم عصره، وصاحب السلطة الفعلية والهيمنة في دولة الخلافة، وهو من أصل فارسي، يفقه لغة السياسة الفارسية، بل ويتمسك بألقابها كشاهنشاه أي (ملك الملوك).

الكتاب يندرج في كتب «مرايا الحكام والأمراء»، وسماتها: الإيجاز، والاستشهاد بالأمثال والحكم والأشعار والعهود السياسية في الأمم السابقة.



المطلب الثالث

مخطوط الكتاب، ومنهج التحقيق

وصف مخطوط الكتاب:

يسكن مخطوط: «**درر السلوك في سياسة الملوك**»، بمكتبة آيا صوفيا برقم ٢٨٧٠ باستانبول؛ بجمهورية تركيا.

وهو نسخة خزائنية وحيدة وفريدة ونفيسة، ولا نعلم وجود نسخ أخرى للكتاب في فهارس المخطوطات المطبوعة المتداولة بين أيدينا، وتقع في اثنتين وأربعين ورقة، ووجه لورقة.

تضمنت الورقة الأولى عنوان الكتاب الموسوم باسم: «درر السلوك في سياسة الملوك» تأليف الإمام أبي الحسن بن حبيب الماوردي.

وكتبت برسم خزانة المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري[١].

---

(١) هو قانصوه بن عبد الله الظاهري، الأشرفي، الغوري (أبو النصر، سيف الدين الملك الأشرف). من سلاطين مصر، جركسي الأصل، مستعرب خدم السلاطين، وولي حجابة الحجاب بحلب، ثم بويع بالسلطنة بقلعة الجبل في القاهرة، وكان ملمًا بالموسيقى والأدب، مات سنة ٩٢٢ هـ عن اثنتين وسبعين سنة. الأعلام ٦: ٢٣، ومعجم المؤلفين ٨: ١٢٧.

والدعاء له بنصر الله تعالى نصرًا عزيزًا بمحمد وآله وصحبه[١] «ووقف هذه النسخة سلطاننا الأعظم والخاخاقان المعظم مالك البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين، السلطان بن السلطان: السلطان الغازي محمود خان[٢]، وقفًا صحيحًا شرعيًا»، حرره الفقير أحمد شيخ زاده المعين بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما. (انظر اللوحة رقم ١).

بدايات الكتاب بعد البسملة (ق٢/أ): «الحمد لله الذي جعل الحق معزًا لمن اعتقده وتوخاه، ومعينًا لمن اعتمده وابتغاه وجعل الباطل مُذلاً لمن آثره وارتضاه، ومَذَلاً لمن أظهره واقتفاه» (انظر اللوحة رقم ٢).

نهاية الكتاب: (ق٤٣/أ) «ومن يفعله اقتداء فهو حكيم، ومن يتركه حرمانًا فهو شقي، ومن يتركه استحسانًا فهو رديء. وليكن ما

---

(١) لا يجوز التوسل بالرسول وآله وأصحابه بعد وفاتهم وفقًا للعقيدة الصحيحة عن الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح.

(٢) هو السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد، ولد سنة ألف ومائة وتسع وتسعين، وتولى السلطنة في الرابع من جمادى الأولى سنة ألف ومائتين وعشرين، توفي في التاسع عشر من ربيع الأول، سنة خمس وخمسين ومائتين وألف. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ٣: ١٤٥٦–١٤٦٧.

يخلفه من جميل الذكر وحسن السيرة إمامًا يقتدي به الأخيار، ومثالاً يزدجر به الأشرار، فإن ذلك أربح بضائعه يوم معاده، وأنفع ما يخلفه لمن اقتدى به، فإن الله تعالى ولي توفيقه وتسديده، وكفيل معونته وتأييده» (انظر: اللوحة رقم ٤).

والكتاب: بخط نسخ شرقي مشكول، وواضح وجميل، وعناوين الفصول باللون الأحمر.

ومساحة المخطوط: ٢٠ سم X ١٥ سم تقريبًا.

والصفحة إحدى عشر سطرًا في الغالب، والسطر ثمان كلمات في المتوسط.

وغير ثابت اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، والنسخ في الغالب في القرن العاشر الهجري تقريبًا، لأن الكتاب مقدم لخزانة الملك الأشرف قانصوه الغوري المتوفى في ٩٢٢ هـ.

والنسخة سلطانية خزائنية، ويتضح ذلك من جمال الخط، وقلة عدد أسطرها وقلة الكلمات في السطر الواحد.

منهج التحقيق:

بذلت الجهد للوصول إلى النص الذي تركه الماوردي في كتابه «**درر السلوك في سياسة الملوك**» ووثقته بكتب الماوردي الأخرى،

وبالرجوع إلى المصادر التي اعتمد عليها.

واهتم التحقيق بالآتي:

* عزو الآيات إلى السور من القرآن الكريم.

* تحقيق الأحاديث التي ذكرها الماوردي، وتخريجها، وبيان درجتها من الصحة، أما ما كان منها في البخاري ومسلم فقد تجاوز العقبة، لأنهما مسلم بصحتهما.

* عزو الحكم والأمثال والأشعار إلى مصادرها ومظانها.

* ضبط المفردات اللغوية والمصطلحات الفقهية عامة والسياسية خاصة من مظانها الأصلية من معاجم اللغة، وكتب المصطلحات والكشافات.

وكان ختام هذا الجهد إعداد فهارس شاملة للكتاب تيسر الانتفاع الكامل به. ونسأل الله عز وجل أن يتقبل منا هذا العمل في خدمة التراث السياسي الإسلامي، وأن يكون خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به.

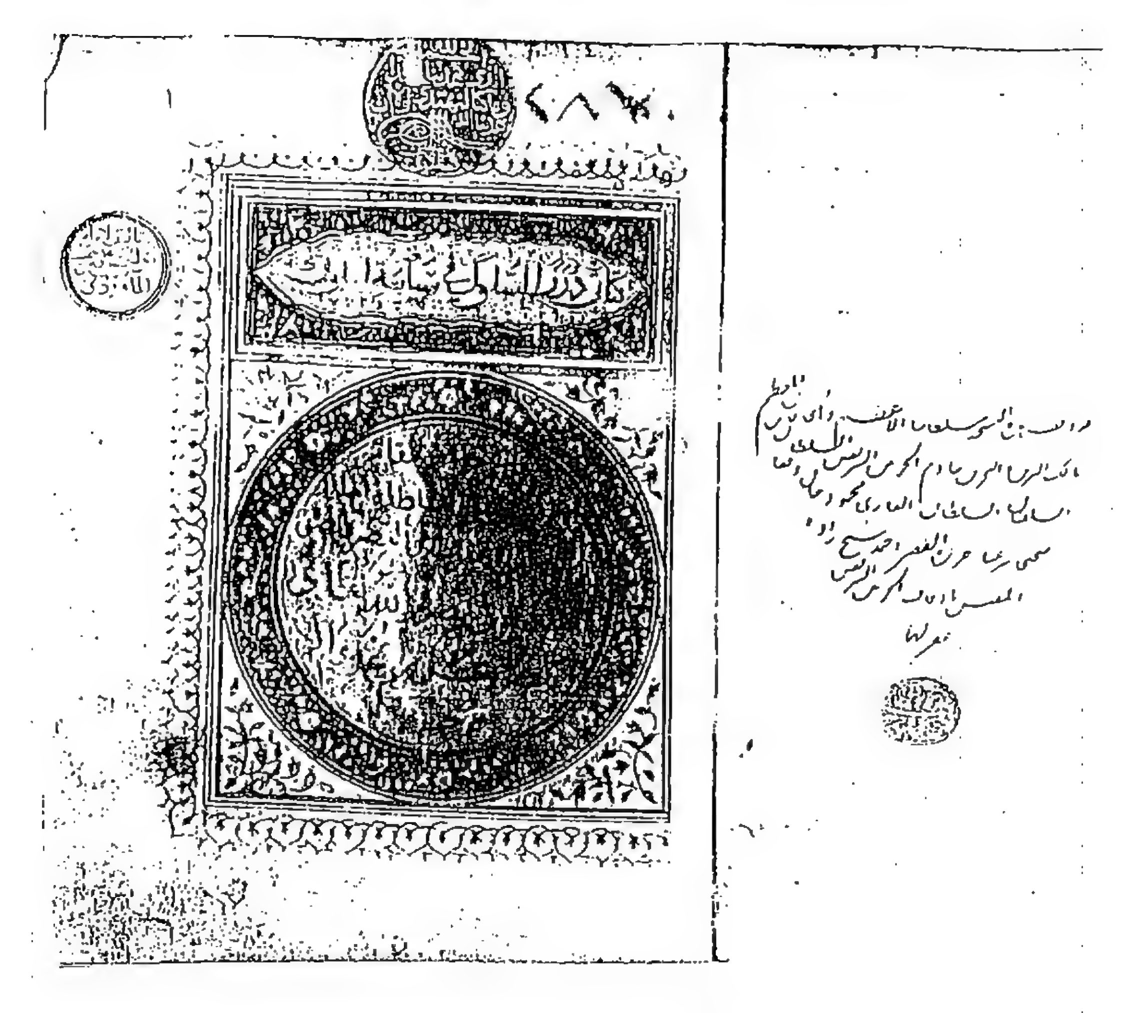
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحقق

فؤاد عبد المنعم أحمد

مكة المكرمة في المحرم ١٤١٧ هـ

لوحة رقم (١)



عنوان كتاب « درر السلوك في سياسة الملوك »

تأليف الإمام أبي الحسن علي بن حبيب الماوردي

لوحة رقم (٢)

بداية «درر السلوك في سياسة الملوك»،

وثابت في المقدمة إهداؤه لملك الملوك بهاء الدولة

لوحة رقم (٣)

الى انشا كتاب وجيز ضمنته من جمل السياسة ما ان كان
الملك قد حاز علم اضعافه بحسن بديهته واصيل رايه
فاني لم اعدم ان اكون قد اديت من لوازم الطاعة ما يحسن
موقعه ان شا الله عز وجل وقسمته بابين

وترجمته بدرر السلوك في سياسة الملوك اذ كان ما
تضمنه داعيا اليه وحاثا عليه وانا اسال الله تعالى
حسن المعونة والتوفيق واليه ارغب في ارشادي
بالرشد والتسديد وهو حسبي ونعم الوكيل

اعلم ان الانسان مطبوع على اخلاق قل ما حمد جميعها
او ذم سائرها وانما الغالب ان بعضها محمود وبعضها
مذموم قال الشاعر
وما هذه الاخلاق الا طبائع فمنهن محمود ومنها مذمم
ولكن يمكن صلاح مذمومها بالتسليم الى الطبيعة والقوى
الى التجربة الا ان رياضتها بالرياضة والتاديب تدرج فيستقيم
له الجميع بعضها خلق مطبوع وبعضها خلق مسموع
لان الخلق طبع والتخلق تكلف قال الشاعر
يا ايها المتحلي غير شيمته ومن سجيته الاكثار والملق
عليك بالقصد فيما انت فاعله ان التخلق ياتي دونه الخلق
وشريف الافعال لا يتصرف فيه الا شريف الاخلاق سواكان

تقسيم درر السلوك إلى بابين وأنه ضمنه وجيز من جمل السياسة

لوحة رقم (٤)

ومن يفعله اقتدى أفصح حالهم، ومن تركه حرمانا
فهو شقي، ومن تركه استحسانا فهو ردي، ولكن
ما خالفه من جميل الذكر وحسن السيرة إماما
يقتدي به الأخيار، ومثالا يزدجر به الأشرار
فإن لكل آخذ متابعة يوم معاده، وأنفع ما خلف
لمن اقتدى به، فإن الله تعالى ولي توفيقه
وكفيل معونته وتأييده

تم كتاب درر السلوك
بحمد الله ومنه وقوته وعونه

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين وصحبه وسلم

نهاية كتاب « درر السلوك »

كتاب

«درر السلوك في سياسة الملوك»

تأليف

الإمام أبي الحسن علي بن حبيب الماوردي

النص المحقق

(ق٢/أ) **بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي جعل الحقَّ مُعزاً لمن اعتَقَدهُ وَتَوخاه، ومُعينًا لمن اعتمده وابتغاه، وجعل الباطل مُذلاً لمن آثره وارتضاه، ومَذَلاً لمن أظهره واقتفاه، واختص ملك الملوك: بهاء الدولة وضياء الملة وغياث الأمة[1]، باعتقاد الحق واجتناب الباطل حتى تمكن من نواصي من راده ومانعه، وجعل له من ولده سندًا يظاهره وعضدًا يؤازره.

فالحمد لله حمدًا يوازي جميل نعمه، ويُضاهي جزيل قسمه، وصلى الله على بشير كل تقي مُهتد، ونذير كل مُعتد محمد وآله وصحابته هداة الصالحين الأخيار، وعُداة الطالحين الأشرار، وسلَّم كثيرًا.

(ق٢/ب) أما بعد: فإن الله سبحانه ببليغ حكمته، وعدل قضائه، جعل الناسَ أصنافًا مختلفين، وأطوارًا متباينين، ليكونوا بالاختلاف مؤتَلفين، وبالتباين متفقين، واختص منهم راعيًا أوجب عليه حراسة رعيته، وأوجب على الرعية صدق طاعته، وجعله الوسيط بينه وبين عباده، ولم يجعل بينه وبينهم أحدًا سواه، فكان ملك الملوك: «بهاء الدولة» ممن خصه الله باسترعاء خلقه واستودعه حفاظ حقه،

---

(١) سبق التعريف به ص٣٦.

وجعلنا أهل طاعته نتمسك بعصم الموالاة، ونمت بإخلاص المصافاة، وأخلص الرعية من كان لحق الرعية مذكرًا، وبحق سلطانه معترفًا، وقد دعاني صدق الطاعة (ق٣/أ) إلى إنشاء كتاب وجيز ضمنته من جمل السياسة ما إن كان الملك قد حاز علم أضعافه بحسن بديهته وأصيل رأيه، فإني لن أعدم أن أكون قد أديت من لوازم الطاعة ما يحسن موقعه، إن شاء الله عز وجل.

وقسمته بابين:

الباب الأول: في أخلاق الملك

الباب الثاني: في سياسة الملك

وترجمته «**بدرر السلوك في سياسة الملوك**» إذا كان ما تضمنه داعيًا إليه، وحاثًا عليه، وأنا أسأل الله تعالى حسن المعونة والتوفيق، وإليه أرغب في إمدادي بالرُّشد والتسديد؛ وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباب الأول

في أخلاق الملك

(الأخلاق بين المدح والذم)

(ق٣/ب) اعلم أن الإنسان مطبوع على أخلاق قل ما حُمد جميعها، أو ذُمّ سائرُها، وإنما الغالبُ أن بعضها محمود، وبعضها مذموم. قال الشاعر[١]:

وما هذه الأخلاقُ إلا طبائع فمنهنّ محمودٌ ومنها مُذَمَّمُ

(إصلاح الأخلاق المذمومة بالتأديب)

وليس يُمكن صلاح مذمومها بالتسليم إلى الطبيعة، والتفويض إلى النَّحيزَة[٢]؛ إلا أنْ يرتاض لها رياضة تأديب وتدريج فيستقيم له

---

(١) الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة تحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمي، طبعة دار الوفا، المنصورة، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٧ م، ص١١٥ أورده بدون عزو.

(٢) النَّحِيزَةُ: الطبيعة، ونحيزة الرجل طبيعته، وقيل: كل طريقة نحيزَة. لسان العرب لابن منظور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م جـ ١٤ ص٧٠ مادة «نحز». وقال ابن دريد: «الغريزة: الطبيعة، والجمع الغرائز. فلان كريم الغريزة، والطبيعة، والنحيزة، والنحيتة، والخليقة، والسليقة، كل ذلك واحد»، الجمهرة، مادة نحز ٢: ٣٢٢ والمقصود في النص الغريزة.

الجميع، بعضها خُلُق مطبوع، وبعضها تخلق مسموع، لأن الخلق طبع وتكلف.

قال الشاعر:[1]

يا أيُّها المتحلّي غير شيَمته وَمن سَجيّته الإكْثَارُ والمَلَقُ

عليكَ بالقَصْد فيما أنْتَ فَاعِلُهُ إنَّ التخلُّق يأتي دونَه الخُلُقُ

(شريف الأخلاق ثمرته شريف الأفعال)

وشريف الأفعال لا يتصرف فيه إلا شريف الأخلاق سواء كان (ق٤/أ) ذلك طبعًا أو تطبعًا؛ وقد نبه الله تعالى على ذلك في كتابه الكريم بقوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]؛ لأن النبوة لما كانت أشرف منازل الخَلْق نَدَب إليها من أكمل فضائل الأخلاق.

---

(١) في البيان والتبيين للجاحظ ١:١٦٧، والمؤتلف والمختلف للآمدي ١٩٧، والتذكرة السعدية ١:١٩٥ نسبة البيتين إلى سالم بن وابصة الأسدي. وفي الحيوان للجاحظ ٣:١٢٨، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢:٢٧٥، ومجالس ثعلب ١:٣٠٠، (ديوان العرجي ص٣٣، والعرجي: هو عبد الله ابن عمر بن عمرو بن عثمان) وينسبهما البحتري في الحماسة ص ٣٥٨ مع أبيات لذي الإصبع العدواني. وفي الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي بغير نسبة. جـ١ص١٥٩.

ارجع إلى خَيْمِك المعروف ديدنه إن التخلق يأتي دونه الخلق

(٢) ٦٨ سورة القلم: الآية ٥.



(سياسة الإنسان لنفسه)

فإذا بدأ الإنسان بسياسة نفسه كان على سياسة غيره أقدر، وإذا أهمل مراعاة نفسه كان بإهمال غيره أجدر.

وقد قال بعض الحكماء المتقدمين: من بدأ بسياسة نفسه أدرك سياسة الناس[١].

وقد قيل في منثور الحكم: لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره، وطاعة نفسه ممتنعة[٢] عليه.

قال الشاعر:

أَتَطْمعُ أنْ يُطيعَك قلبُ سُعْدى ... تزعُمُ أنَّ قَلْبَك قد عَصاكَا[٣]

وربما حَسُنَ ظن الإنسان بنفسه؛ فأغفل مراعاة أخلاقه

---

(١) في المصباح المضيء لابن الجوزي ١ : ٤٧٠ عن أفلاطون: «من بدأ بنفسه فساسها أدرك سياسة الناس». وفي دستور معالم الحكم للقضاعي ص٢٩ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مَنْ ساس نفسه أدرك السياسة، ومَنْ بذل ماله استحق الرياسة».

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي، نشرة مصطفى السقا، ص ١٤٨، وفي التمثيل والمحاضرة للثعالبي تحقيق عبد الفتاح الحلو ص ٤٠٨ بغير نسبة.

(٣) البيت في أدب الدنيا والدين ص١٤٨ بغير نسبة، وتسهيل النظر، تحقيق محيي هلال السرحان ص ٤٨.

(ق٤ /ب)، فدعاهُ حُسْنُ الظن بها إلى الرضا عنها، فكان الرضا عنها داعيًا إلى الانقياد لها ففسد منه ما كان صالحًا، ولم يصلحْ منها ما كان فاسدًا، لأن الهوى أغلبُ من الآراء، والنفس أجورُ من الأعداء، لأنها بالسوء أمارة وإلى الشهوات مائلة[١] وكذلك قال النبي ﷺ: «**الشديد من ملك نفسه**»[٢].

قال بعض الحكماء: من رضي عن نفسه، أسخط عليه الناس[٣]؛ ولحُسْن الظن بها أسباب فمن أقوى أسبابه الكبر والإعجاب، وهو بكل أحد قبيح وبالملوك أقبح، لأنه دال على صغر الهمة مخبر بعلو المنزلة، وكفى بالمرء ذمًّا أن تكون همته دون منزلَته[٤]. وقد قال بعض أشراف السلف: لا ينبغي أن يرى شيئًا من الدنيا لنفسه خطرًا فيكون به تائهًا. والملوك (ق٥ /أ) أعلى الناس همًما، وأبسطهم أملاً فلذَلك كان الكبر

---

(١) تسهيل النظر ص ٤٨.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشَّديدُ بالصُّرْعَةِ، إنَّما الشديدُ الذي يملك نَفْسَهُ عِنْدَ الغضب**» صحيح البخاري، ضبطه ورقمه ووضع فهارسه الدكتور مصطفى ديب البغا جـ ٥ ص٢٢٦٧ رقم ٥٧٦٣ كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب. وصحيح مسلم ضبطه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي جـ ٤ ص٢٠١٤ رقم ٢٦٠٩ كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب.

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي تحقيق مصطفى السقا ص١٤٨ من غير نسبة.

(٤) تسهيل النظر ص٤٩ مع تعديل طفيف.

والإعجاب بهم أقبح[١]، وكان عبد الله بن العباس رضوان الله عليه يقول: سمعت أبا بكر الصديق رضوان الله عليه يقول:

إذا أردْت شريف الناس كلِّهمُ فانظُرْ إلى مَلك في زيٍّ مسْكين

ذاك الذي حسُنْت في الناس رأفتُه وذاك يصلُحُ للدنْيا والدّين[٢]

(السكينة والوقار أحمَد من الكبر والإعجاب)

لكن السكينة والوقار أحمد وأولى به من الكبر والإعجاب، ومن الناس من لا يُفرق بين الكبر والوقار، وهذا جهل بمعناهما:

(الفرق بين الكبر والإعجاب)

فأما الكبر والإعجاب فقد يجتمعان في الذم، ويفترقان في المعنى. فالإعجاب يكون في النفس، وما تظنه من فضائلها. والكبر يكون بالمنزلة، وما تظنه من عُلوِّها[٣].

(أسباب الكبر)

وللكبر أسباب: فمن أقوى أسبابه، علو اليد ونفوذ الأمر،

---

(١) تسهيل النظر ص٥٠.

(٢) البيتان نسبتهما إلى أبي بكر في المصباح المضيء لابن الجوزي جـ١ ص٥٣٩-٥٤٠، وفي عيون الأخبار جـ١: ٣٧، جـ٢ص٣٣٢، والمحاسن والمساوئ للبيهقي ٢: ٣٩٠ منسوبًا لأبي العتاهية.

(٣) تسهيل النظر ٥١ مع تعديل يسير.

(ق٥ / ب) وقلة مخالطة الأكفاء[١]. وللإعجاب أسباب فمن أقوى أسبابه كثرة مديح المقربين، وإطراء المتملقين الذين استبضعوا الكذب والنفاق، واستصحبوا المكر والخداع، فإذا وجدوا لنفاقهم سوقًا، ولكذبهم تصديقًا، جعلوه في ذمم النوكي فاعتاضوا به رتبًا، وعوضوا منه نشبًا، وحسبوه زينًا، فصار شينًا، وحكم الممدوح بكذب قولهم على صدق علمه وجعل لهم طريقًا إلى الاستهزاء به[٢] ومن أجل ذلك قال النبي ﷺ: «**احثوا في وجوه المداحين التراب**»[٣]. وقيل لأنوشروان: لم تتهاونونَ بالمدح إذا مُدحتم؟ قال: لأننا رأينا ممدوحًا هو بالذم أحق[٤].

---

(١) أدب الدنيا والدين تحقيق محمد فتحي أبو بكر ص ٢٨٨.

(٢) في أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص ٢٨٨، وتسهيل النظر: ٥٢.

(٣) أخرجه مسلم عن المقداد بلفظ «أن رجلاً جعل يمدح عثمان فعمد المقداد. فجثا على ركبتيه، وكان رجلاً ضخمًا، فجعل يحثو في وجهه الحصباء. فقال له عثمان: «ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب**» صحيح مسلم جـ٤ ص٢٢٩٧ رقم ٣٠٠٢، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنة على الممدوح. وسنن الترمذي جـ ٤ ص ٢٦ رقم ٢٥٠٤ وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) في الحكمة الخالدة لمسكويه ص٥٢ عن أنوشروان؛ «قيل: فما بالكم تطرحون من المدح مالم يكن مُطرحًا عند غيركم من الملوك؟ قال: لكثرة من رأينا من الممدوحين الذين كانوا بالذم أولى منهم بالمدح».

(بين التملق وصدق النصيحة)

وهذا أمر ينبغي لكل واحد أن يراعيه من نفسه، ويفرق **(ق٦/أ)** بين متملقه احتيالاً، وبين مخلص له النصيحة من أهل الصدق والوفاء، الذين هم مرايا محاسنه، وعيونه، فإنه إن أغفل ذلك داهن نفسه ونافق عقله، واستفسد أهل الوفاء والصدق، ومار مأكله النفاق والملق، فأعقبه ذلك ضررًا وأورثه تهجينًا وذمًا، والملك أولى من حذر ذلك وتوقاه، لأن حضرة الملوك كالسوق التي يجلب إليها ما ينفق فيها، وكل داخل عليه فإنما يريد التقرب إليه بقوله وفعله، فإذا علموا منه إيثار الموافقة على الهوى، وحب المدح والإطراء، جعلوا ذلك أربح بضائعهم لديه، ومن أجل ما يتقرب به إليه، فيتصور ذمه حمدًا، وقد كسب به ذمًا ويتصور قبحه حسنًا،وقد كسب به قبحًا، فهذا **(ق٦/ب)** مما يجب أن يتوقاه الملك ويحذره[١].

(دلائل الوقار)

وإذا كان الوقار محمودًا، وكان الإنسان به مأمورًا، فواجب أن نصف منه فصولاً دالة يتبع بعضها بعضًا:

فمن ذلك قلة التسرع إلى الشهوات، والتثبت عند الشبهات،

---

(١) تسهيل النظر ص٥٤-٥٦ مع تعديل.

واجتناب سرعة الحركات، وخفة الإشارات، ثم إطراقُ الطرف، ولزوم الصمت[١] فإنه أبلغ في الوقار وأسلم من هذا الكلام مع أن الملك ملحوظ الأنفاس منقول اللفظ.

وقد قال بعض الحكماء: الحصرُ خيرٌ من الهذر؛ لأنَّ الحصر يضعُف الحجةَ، والهذر يتلف المهجة[٢].

وقال بعض البلغاء: الزم الصمت؛ فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنُك سوءَ المغبة، ويُلبسُك ثوب الوقار **(ق٧ / أ)**، ويكفيك مؤنة الاعتذار[٣]. وتكلم أربعة من حكماء الملوك بأربعة كلمات كأنها رميت عن قوسٍ:

فقال ملك الروم: أفضلُ علم العلماء السكوتُ.

وقال ملك الفرس: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها.

وقال ملك الهند: أنا على رد ما لمْ أقُلْ أقدرُ مني على رد ما قلتُ.

وقال ملك الصين: ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت[٤].

---

(١) تسهيل النظر ص٥٨.

(٢) أورد الماوردي القول في قوانين الوزارة، تحقيقي والدكتور محمد سليمان داود ص٤٧.

(٣) تسهيل النظر ٥٩.

(٤) التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص٤٢٦، وتسبهل النظر ص٥٩.

وليعلم أنَّ الحاجة إلى الصمت أكثر من الحاجة إلى الكلام، لأن الحاجة إلى الصمت عامة، والحاجة إلى الكلام عارضة. فلذلك ما وجبَ أن يكون صمتُ العاقل في الأحوال أكثر من كلامه في كل حال. حُكي أن بعض الحكماء رأى رجلاً يكثر الكلام ويقل السكوت؛ فقال له: إن الله تعالى إنما جعل لك أذُنَيْن ولسانًا واحداً **(ق٧/ب)**؛ ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به[١]. فإذا دعته الحاجة إلى الكلام سبره. وقيل: اللسان وزير الإنسان[٢]، فإذا تكلم تحذر من الإكثار، فقل من كثر كلامه إلا وكثر ندمه. وقد قيل: من كثر كلامه كثرت آثامه. ولا ينبغي أن يعجب بجيد كلامه، ولا بصواب منطقه؛ فإن الإعجاب به سبب الإكثار منه[٣]. وقد قيل: من أعجب بقوله أصيب بعقله[٤].

(اعتماد الصدق والحذر من الكذب)

ويعتمد الصدق في مقاله واجتناب الكذب من مقاله[٥]. فقد

---

(١) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين دون نسبة ص ٢٦٨ وتسهيل النظر ص٦٠.

(٢) أدب الدنيا والدين ص٢٧٠، وتسهيل النظر ٦١.

(٣) تسهيل النظر ص٦٢ مع تعديل يسير.

(٤) أدب الدنيا والدين ص٢٦٩ وتسهيل النظر ص٦٣.

(٥) تسهيل النظر ٦٧.

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**رحم الله امرءًا أصْلَحَ من لسانه، وأقصر من عنانِهِ، وألزم طريق الحقِّ مقوله، ولم يعود الخَطَل مفصله**»[(١)].

فيحذر الكذب ولا يرخص لنفسه فيه إلا على وجه التورية في خداع الحروب؛ فإن «الحرب خدعة»[(٢)]. **(ق٨/أ)** وقد جاءت السنة بإرخاص الكذب فيها على وجه التورية دون التصريح، فإن أرخص لنفسه فيه على غير هذا الوجه صار به موسومًا لأن الإنسان بقدر ما يسبق إليه يعرف، وبما يظهر من أخلاقه يوصف، وبذلك جرت عادة الخلق: أنهم يُعدلون العادل بالغالب من أفعاله، وربما أساء. ويفسقون الفاسق بالغالب من أفعاله، وربما أحسن. فإذا وُسم بالصدق، وقصر كلامه على المهمِّ، كان تبشيرُه وإنذاره على حسب خطر الأمور التي يجري فيها وعده أو وعيده كانت ألفاظُهُ ألقابًا، وكان ذمُّه عذابًا، واستغنى عن كثير من الإرغاب والإرهاب. وقد اختير للملوك عذوبة

---

(١) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٥٣، ورواه ابن الأنباري في الوقف، والمرهبي في العلم، وابن عدي في الكامل، والخطيب البغدادي في الجامع عن عمر، وابن عساكر، عن أنس، ورمز له السيوطي بأنه حديث حسن. الجامع الصغير ١: ٢٣ وقال المناوي: أورده ابن الجوزي في الواهيات، وقال: حديث لا يصح. فيض القدير جـ ٤ ص٢٤.

(٢) البخاري ٣: ١١٠٢ رقم ٢٨٦٤، ٢٦٨٥ في الجهاد، باب: الحرب خدعة؛ مسلم ٣: ١٣٦١، ١٣٦٢ رقم ١٧٣٩، ١٧٤٠ في الجهاد، باب: جواز الخداع في الحرب.

الكلام، وجهارة الصوت لأنه أرعب، وأرهب[١].

وحُكي أن أبا بكر (ق٨/ب) الصديق رضي الله عنه كَتَبَ إلى عكرمة ابن أبي جهل[٢] وهو عامله بعمان[٣]: إياك أن توعد على معصية بأكثر من عقوبتها، فإنك إن فعلت أثمت، وإن تركت كذبت[٤].

(الحذر من الغضب)

ويحذرُ الغضب ويتجنبه فإنه شر قاهر، وأضر معاند، وليس يفسد الأمور وينتقص التدبير إلا عند غلبته، وشدة فورته، فإن مني به فلا يمضي فعلاً، ولا ينفذ حكمًا حتى يزول.

---

(١) تسهيل النظر ص٦٨-٧٠ مع إيجاز.

(٢) عكرمة بن أبي جهل (واسم أبي جهل؛ عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي)، كان كأبيه أشد الناس على رسول الله ﷺ، ثم أسلم عام الفتح وخرج إلى المدينة، ثم وجهه أبو بكر رضي الله عنه، إلى قتال أهل الردة وفي الفتوحات، فاستشهد وقيل: توفي في سنة ١٥ من خلافة عمر رضي الله عنه. سير أعلام النبلاء ١: ٣٢٣، وأسد الغابة، طبعة الشعب جـ ٤ ص٧٠-٧٣ رقم الترجمة ٣٧٣٥.

(٣) عُمَان: (بضم العين وفتح الميم المخففة) قال ياقوت في معجم البلدان: «اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرَّها يضرب به المثل...» وقد وليها عكرمة أيام أبي بكر بعد أن قاتل المرتدين فيها، ثم صرف منها إلى اليمن للهدف نفسه». قارن عن ذلك فتوح البلدان للبلاذري ص١٠٣-١٠٥.

(٤) أسامة بن منقذ: لباب الآداب ص٣٣٦، أورده بلفظه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا استشاط السلطانُ، تسلطَ الشيطانُ**»[١].

وحُكي أن بعض ملوك الفرس كتب كتابًا؛ فدفعه إلى وزيره، وقال: إذا غضبتُ فناولنيه، وكان فيه مكتوب: مالكَ والغضب؟ إنك لست بإله (**ق٩ /أ**) إنما أنت بشرٌ، ارحم مَنْ في الأرض؛ يرحمك من في السماء[٢].

وإنما كان يفعلُ هذا ليزول عنه الغضبُ،خوفًا من قبح آثاره، وشدة إضراره.

(الحذر من المحل واللجاج)

وكذلك المحلُ واللجاج[٣]، يجب أن يحذَره، فهو أليفُ الغضب، وحليفُ العطب، والانقياد للرأي أحمد، والرفق في الأمور أوفق.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ الرفقَ لم يكنْ في شيء قط إلا**

---

(١) الحديث في مسند أحمد ٤ :٢٢٦ عن عطية السعدي، ورجاله ثقات. الهيثمي: مجمع الزوائد ٨ :٧١. ورواه الطبراني في الكبير عن عطية السعدي، وهو حديث صحيح. المناوي: فيض القدير ١ :٢٧٥.

(٢) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين نشرة مصطفى السقا ص٢٥١، والطرطوشي: سراج الملوك ٨٨.

(٣) المحل: المكر والكيد والجدال. واللجاج: التمادي في الخصومة.

زانَهُ، ولا نُزِعَ منه إلا شانه»[1].

وليعلمْ أنَّ في الأمور التي تدبرها ما لا يمضي إلا بفرط الصرامة والهيبة؛ وأن ذلك لا يكون إلا لمنْ خيفَ غضبُه، وخشيتْ سطوتُهُ؛ فليجعل من الغضب تغضبًا؛ لا غضبًا؛ لأن التغاضب فعله يمكنه (**ق٩/ب**) أنْ يقفَ منه على الحد المطلوب، والغضب انفعالُ فيه اضطُر إليه لا يمكنه أن يقف منه على حد. ولقد أصابَ منْ كانت عقوبته للأدب، وأخطأ من كانت عقوبته للغضب، وهذا مما ذكرنا في معنى الطبع والتطبع.

وعلى هذا القياس فلا ينبغي أن يستفزهُ السرورُ؛ فتملأ البشائر قلبه، وتخلبَ الأفراح لُبَّه، فينسبه العدو إلى ضعف العزيمة، ولين الهمة، بل يصور في نفسه، ويقدر في فكره، أنَّ البشائر ـ وإنْ جلَتْ ـ محتَقَرة، إذا قيستْ بكبر همته، وأضيفتْ إلى عظم منزلته.

(الصبر وأقسامه)

وكذلك الحوادث إذا طرقت، والنوازلُ إذا ألَّمت، كانت سهلةَ الوطأة في جنب صبره وشهامته، قليلة (**ق١٠/أ**) الأثر لسَعَة صَدْرِه

---

(١) رواه الإمام مسلم عن عائشة مرفوعًا. صحيح مسلم ٤:٢٠٠٤ رقم ٢٥٩٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، وسنن أبي داود ٣:٣ رقم الحديث ٢٤٧٨، كتاب الجهاد، باب: ما جاء في الهجرة.

وبُعْد همته؛ فإن طرأ عليه منها طارئٌ بان فَضلُهُ على مَنْ سواهُ بالصَبر والمسكة عند جزعهم، والوقار والأناة عند استفزازهم فيكون بصبره ممتثلاً لأمر الله عز وجل فيما أتاه، راجيًا للظفر فيما يقصده ويتوخاه وقد قالت الحكماء: بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوة.

وقد قال الشاعر:

إذا المرءُ لم يأْخُذْ من الصبر حَظَّهُ تَقَطّعَ من أسبابه كلُّ مُبْرَمِ

ولْيعلم أنَّ الصبر قد ينقسم ثلاثَة أقسام، وهو في كل قسم منها محمود.

فأول أقسامه: الصَبْرُ على ما فات إدْراكُهُ من نَيْل الرغائب، أو نقضتْ أوقاتُه من نزول المصائب، وبالصبر في هذا تستفاد راحةُ القلب، وهدوء الحواس، وفَقْدُ (ق/ ١٠ب) الصبر فيه منسوب إلى شدة الأسى، وإفراط الحزن. فإن صبر طائعًا؛ وإلا احتمل كارهًا همًّا لازمًا، وصار إثمًا لعمله راغمًا.

وثاني أقسامه: الصبرُ على ما نزلَ من مكروهٍ، أو حَلَّ من أمر مخوف. والصبر في هذا يفتح وجوه الآراء، ويتوقى مكايدَ الأعداء، وفي مثله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[1] وقالت الحكماءُ: مفتاح عزيمة الصبر يعالج مغاليق

---

(١) ٣١ سورة لقمان: الآية ١٧.

الأمور[١]. وفَقْدُ الصبر في هذا منسوب إلى الخُرق.

وثالث أقسامه: الصبرُ في ما ينتظر وروده؛ من رغبة يرجوها أوْ يخشى حدوثَهُ من رهبةٍ يخافها، وبالصبر والتلطف في هذا يَدفعُ عاديةَ ما يخافُه من (ق١١/أ) الشرِّ. وينَالُ نَفْع ما يرجوه من الخير. وفي مثله قالت الحكماء: من استعانَ بالصبر نالَ جسيماتِ الأمور[٢]. وفقد الصبر فيه منسوب إلى الطيش.

(كتمان السر)

وليس يصح الصبر في الأمور بترك التسرع إليها دونَ كتمانِ السر فيها؛ فإن كتمان السر من أقوى أسباب الظفرِ، وأبلغُ في كيد العدو.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**استعينُوا على الحاجات بالكتمان**»[٣].

---

(١) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٦٤، والطرطوشي: سراج الملوك ص١٠٠.

(٢) أورد الماوردي معناه في أدب الدنيا والدين ص٢٦٣ «من صبر نال المنى، ومن شكر حصن النعمى».

(٣) أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة عن معاذ بن جبل، انظر المعجم الصغير ٢: ١٤٩، والكبير ٢٠: ١٨٣ والبيهقي في شعب الإيمان، والقضاعي في مسند الشهاب ١: ٤١٠-٤١٢ رقمي ٧٠٧، ٧٠٨ والحديث ضعيف، رواه العقيلي في الضعفاء ١٥١ وتتبع الشيخ محمد ناصر الألباني من طرق أخرى وصححه وأورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣: ٤٣٦ رقم الحديث ١٤٥٣.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «سرّكَ أسيركَ؛ فإذا تكلَّمْتَ به صرْتَ أسيره»(١).

وقال أنوشران: مَنْ حَصَّن سرَّهُ فلهُ بتحصينه خصلتان: الظَّفَرُ بحاجَته والسلامةُ من السَّطَوَات(٢). وليَعلم أنَّ من الأسرار **(ق١١/ب)** مالا يُسْتَغْنَى فيها عن مُطالعة ولي مخلص، واستشارة ناصح، فليتحفظ فيها وليختر لها أمناءها، فإن الركون إلى حُسْن الظن ذريعةٌ إلى إفْشاء السِّر. فليس كُلُّ مَنْ كان على الأموال أمينًا يجبُ أن يكونَ على الأسرار مؤتمنًا، والعفةُ على الأموال أيسرُ من العفة عن إذاعة الأسرار؛ لأن الإنسانَ قد يُذيع سرَّ نفسه لمبادرة لسانه، وسقط كلامه، وَيشُحُّ على اليسير من ماله ضنًّا به وحِفَاظًا عليه، ولا يرى ما أذاع من سرِّه كبيرًا في جنب ما حفظه من يسير ماله، مع عظم الضرر الداخل عليه، فمن أجل ذلك كان أمناء الأسرار أشدَّ تعذرًا، وأقلَّ وجودًا من أمناء الأموال، فإذا ظفَر بهذا الأمين المعوز، أودعهُ إيدَاع متحفظ **(ق١٢/أ)**، فإنْ وجده مُؤثرًا للوقوف عليه، حذرهُ وتوقاهُ؛ فإن طالبَ الوديعة خائن.

---

(١) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٩٥، والطرطوشي في سراج الملوك ١٩٠، وابن طلحة في العقد الفريد للملك السعيد ص١٤٠، ولباب الآداب ص٢٣٩.

(٢) بلفظه، أدب الدنيا والدين ص٢٧٩، سراج الملوك ص١٩٠، ١٩١، ولباب الآداب ص٣٩، والمستطرف ١: ٢٠٧.

وقد قال الشاعر[١]:

لا تُذْع سرًّا إلى طالبه إن الطالب للسرّ مُذيع[٢]

وأولى الأمور في الأسرار كتمها؛ لتؤمن مخاوف الإذاعة والاستطالة بالإدلال[٣].

وقد قال بعض الحكماء: من أفشى سرَّهُ كَثر عليه المتآمرون[٤].

وقد قال الشاعر:

ألَمْ تَرَ أنَّ وُشاةَ الرجال لا يتركونَ أدَيمًا صحيحًا

فلا تُفشِ سرَّك إلا إليك فإنَّ لكل نَصيحٍ نَصيحًا[٥]

---

(١) الشاعر هو صالح بن عبد القدوس، أبو الفضل، البصري، اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بقتله مع إعجابه بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته وذلك في سنة ١٦٧ هـ وديوانه مطبوع مع الدراسة التي قدمها له: عبد الله الخطيب بالبصرة ١٩٦٧، وانظر في أخباره: تاريخ بغداد ٩: ٣٠٣، فوات الوفيات ١: ٣٩١، معجم الأدباء ١٢: ٦، نكت الهيمان ١٧١.

(٢) ديوان صالح بن عبد القدوس ص١١٩، وأورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٩٧.

(٣) مخاوف الإذاعة من ذوي الظنة، والاستطالة بالإدلال من ذوي العفة. راجع تسهيل النظر تحقيق رضوان السيد ص ١٦٣.

(٤) القول في أدب الدنيا والدين ص٢٩٧، وسراج الملوك ص١٩٢.

(٥) منسوبان لأنس بن أسيد عند الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٩٥؛ =

وقال بعض الحكماء: إذا وَقفَت الرعيَّةُ على سرائر الملوك هان عليها أمرها.

(المشورة)

وينبغي للملك أنْ لا يمضي الأمور بهاجس **(ق١٢/ب)** رأيه، ونتائج فكره، تحرزًا من إفشاء سرِّه، والاستعانة برأي غيره، حتى يشاور ذوي الأحلام والنهى، وأهل الأمانة والتقى، ممن قد حنكتهم التجاربُ، فارتاضوا بها، وعرفوا عند موارد الأمور حقائق مصادرها؛ فإنه ربما كان استبداده برأيه أضرَّ عليه من إذاعة سره، وليس كلُّ الأمور المبرمة أسرارًا مكتومة، ولا الأسرارُ المكتومةُ بمشاورة النصحاء فاشيةً معلومةً.

وقد قال النبي ﷺ: **«ما سعد أحد برأيه ولا شقي عن مشورة»**[1].

= وبغير نسبة في سراج الملوك ص١٩٣، ١٩٤. ومنسوبان للنابغة الذبياني في كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، القسم الثاني ص٢٦٥ وقد رجح محققاه الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور نوري حمودي القيسي أنهما ليسا له. ولم يردا في ديوانه المطبوع.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وأورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٩٠، وابن طلحة في العقد الفريد ص٤٢، وورد في أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام «ما هلك أحد عن مشورة» ص١٤.

قال بعض الحكماء: الاستشارةُ عَينُ الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه[١].

وقال بعض البلغاء: من حق العاقل أن يضيفَ إلى رأيه آراء العلماء، ويجمع (ق١٣/أ) إلى عقله عقولَ الحكماء: فالرأيُ الفذُّ ربما زلَّ، والعقلُ الفردُ ربَّما ضلَّ[٢]، ويعتمد على استشارة من صلاحه موصول بصلاحه إذا كان عريًّا من الهوى في المشورة فإن الهوى يصد عن الرأي ويمنع من الرؤية.

وقال النبي ﷺ: «**حُبُّكَ للشَّيء يُعمي ويصمُّ**»[٣]. أي يعمي عن الرشد، ويصم عن الموعظة.

---

(١) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٩١ ونسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكتاب ٢٠٠٠ كلمة من الإمام علي ص٧٧ رقم ١٨١١.

(٢) أورده الأمير أسامة بن منقذ في لباب الآداب ص٦١ ونسبه إلى أقوال الحكيم أرسطو طاليس. ومعنى الفذ: الفرد.

(٣) رواه أبو داود عن أبي الدرداء. سنن أبي داود ٤: ٣٣٤، ورواه الإمام أحمد ابن حنبل مرفوعًا وموقوفًا. مسند الإمام أحمد ٥: ١٦٤، ٦: ٤٥٠، والقضاعي في مسند الشهاب ١: ١٥٧ برقم ١٥١، والماوردي في الأمثال والحكم ص٦٥ رقم ٦١، وقال الصغاني والطيبي: موضوع. الخلاصة ٨٢ ولكن الحافظ ابن حجر قال متابعًا للعراقي: يكفينا سكوت أبي داود عليه، فليس بموضوع، ولا شديد الضعف. كشف الخفاء ١: ٤١٠، ٤١١.

ولا يصور في نفسه قبح الحاجة إلى رأي غيره؛ فإنه ليس يريد الرأي للافتخار به؛ وإنما يريده للانتفاع.

وقد قالت الحكماء: من كمال عقلك استظهارُك على عَقْلِك[١].

وقال بعض البلغاء: إذا أشكلت عليك الأمورُ، وتغير لك الجمهور، فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع إلى استشارة العلماء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا **(ق١٣/ب)** تستنكف من الاستمدادِ، فلأن تسألَ وتسلمَ خيرٌ من أن تستبدَّ وتندم[٢].

وتكثر من استشارة ذوي الألباب، لا سيما في الأمر الجليل فإن لكل عقل ذخيرة من الصواب، ومسكنًا من التدبير، ولقلما يضل عن الجماعة رأيُ أو يذهب عنهم صواب.

ولا يجمعهم على المشورة فيكون الرأي واحدًا أو يوقع بينهم إحنا، ولا يطلع بعضهم على استشارة بعض ليحيل كل واحد منهم فكره في الرأي طمعًا في الحظوة بالصواب.

وليكنْ - مع ذلكَ - غير وانٍ في الفكرة، ولا مقصرًا في الارتياء، اتكالاً على الاستعانة بآرائهم فيكون في الرأي مفوضًا، وفي الأمر

---

(١) القول في أدب الدنيا والدين ص٢٩٢ بغير نسبة. وفي غرر الحكم ص٣٠٦ نسبته للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) بلفظه، أدب الدنيا والدين ص٢٩٢.

مقلدًا.

وقال بعض الحكماء: الاستسلامُ لرأي المشير هو العزل الخفي فإذا أظهروه من مكنون (ق١٤/أ) آرائهم سبرها برأيه، واختبرها بعقله، وسألهم عن أصولها وفروعها، وباحثهم عن أسبابها ونتائجها، ولم يبد لهم رأيه فإنه يستفيد بذلك ثلاث خصال:

إحداهن: معرفة عقله وصحة رؤيته.

والثانية: معرفة عقل صاحبه وصواب رأيه.

والثالثة: وضوح ما انغلق من الصواب[1].

فإذا تقرر له الرأي أمضاه ولم يأخذهم بعواقب الإكداء فيه؛ فإنما على الناصح الاجتهاد وليس عليه ضمانُ النجاح.

وقد قيل في المثل: الطالب للنجاح كالضارب للقداح سهم له وسهم عليه.

(الأخلاق المتقابلة في الملوك)

وليعلم أن أربعة أخلاق مقابلةٍ ليس يعرى منها أو من أبدالها ملكٌ، فإن استعملتْ في غير موضعها؛ أو أخرجتْ عن حدها

---

(١) أدب الدنيا والدين ص٢٩٣.

(ق / ١٤ب) إلى زيادة أو نقصان ذمت، وإن استعملت في موضعها ووقف منها على حدها حمدت:

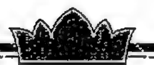
(١ ـ الرقة والرحمة)

فأحدها: الرقة والرحمةُ تُحمدُ عند اعتدالها، وفي موضعها، وتُذَمُّ عند غلبتها وميلها؛ لأنها إذا غلبتْ أفضتْ به إى ترك الحدود، وإضاعة الحقوق فيدعو ذلك إلى هياج طبائع المفسدين، وتحريك آمال المتغلبين، وانحل من عرى السياسة ما كان بالرهبة ملتئمًا، وبخوف العقوبة منتظمًا.

ومن نُسبَ إلى رحمة تبطل حدًا أو تضيع حقًا، كان كما قال المقدمون: كالطبيب الذي يرحمُ العليل من ألم الحديد، ومرارة الأدوية، فتؤديه رحمته إياه إلى هلكته، وتورده حياض منيته، فتصيرُ رحمته له أبلى من قسوته، ورفقه (ق١٥ /أ) به أضر من غلظته.

(٢ ـ القسوة والغلظة)

ثم الخلق الثاني المقابل لهذا الخلق هو القسوةُ والغلظةُ؛ فإنها إذا غلبَتْ أفضت إلى مجاوزة الحدود في الجناة، وعقوبة الأتقياء البراة، فيدعو ذلك إلى إيحاش المستأنسين، وتفرق المتألفين، وإساءة ظنون المناصحين، ويصير كل ولي له خصيمًا، وكل امرئ عليه حنقًا. وربما



ظن بعض الناس القساوةَ صرامة فيذهب في ذلك بعيدًا لأن الصرامة قلة الغفلة عن الجرائر ومعرفة الأمور على الحقائق حتى لا يتدلس عليه السقيم بالسليم، ولا يتصور الخالع بصورة الطائع، والقساوة تَهَوُّرٌ في الحدود، وتَعَدٍ في (ق١٥/ب) الحقوق يقفه عليه أتباع أهوائه وتحكيم فاسد رأيه.

(٣ ـ السماحة والعطاء)

ثم الخلقُ الثالثُ وهو السماحة والعطاءُ فإن وقف على حدِّه، وهو بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وإيصالُه إلى مستحقه بقدر الطاقةِ، كان محمودًا.

وإن تجاوزَ هذا الحد، صارَ منسوبًا إلى التبذير والإضاعة، وصار بإزاء تبذيره حقوقُ مضاعةٌ. وإذا انتشر في الناس أن أموالهُ تُنالُ بغير استحقاقٍ، وتدرك بغير سعي، أثار ذلك مطامع المحتذين[1]، وتوجهتْ إليه وفود السائلين، قد ألقوا كلف الاحتراف، واستبدلوا به دنيَّ الاقتراف، فإنْ رام إرضاء جميعهم لم يُطِقْ لاتساع آمالهم، وقوة

(١) المحتذون: جمع محتذ، وهوطالب العطاء. يقال: أحذيته إحذاً أعطيته، ومنه حديث: «**مثل الجليس الصالح مثل الداري إن لم يحذك من عطره علقك من ريحه**» أي إن لم يعطك. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ١ :٣٥٨ مادة (حذا).

أطماعهم، ولو أطاق لأفسد سعي أتباعه، (ق١٦ /أ)، وخبثتْ نياتُ أشياعه، إذ سوّى بينهم في العطاء، بين من لم يَسع سعيهم، ولا سدَّ مَسَدَّهم.

وقال بعض الحكماء: لا خير في السَّرف ولا سَرَفَ في الخير[١].

وإنْ خصَّ بالعطاء قومًا وحرم قومًا؛ لحقهُ من ذمّ من حرمهُ أضعافُ ما لحقه من حمد من وصَلَه.

(٤ ـ البخل والإمساك)

ثم الخلقُ الرابعُ المقابلُ لهذا الخلق وهو البخلُ والإمساك المؤدي إلى تفرق الكرام، وذم الخاص والعام، وانصراف قلوب الأولياء، واستطالة ألسنة الأعداء فيصير ذلك مفضيًا إلى إيثار الخيانة على الأمانة، والغش على النصيحة لأنه إذا حرم الناصح الأمين كحرمان الخائن الظنين، ولم ير الناصح مُؤَثرًا كان للخيانة مُؤْثرًا، ثم يفتح للحاشية أبواب الريب في قبيح المكاسب (ق١٦ /ب) وخبيث المطالب، وقبول الرشا. فهذه

---

(١) في أدب الدنيا والدين ص١٨٧ نسبة القول للمأمون العباسي، وفي التمثيل والمحاضرة ص١٣٥، وفي غرر الخصائص ص٣٧٧: وقيل للحسن بن سهل: لا خير في السرفِ! فقال: لا سرف في الخير! فرد اللفظ واستوفى المعنى. وينسب القول للحسن البصري في سراج الملوك للطرطوشي ص١٦٨.

الأخلاقُ إذا أخَذ الملكُ نفسه بتعديلها اتسق نظام مملكته واستقام أمر دولته.

(تجنب الحسد)

ثم يحفظ نفسه من حسد غيره؛ فإن قدره يجلُّ عن مذمته وظاهر الحسد أقبح من باطنه، وباطنه أضر من ظاهره، لأنه في الظاهر شدة الأسى على الخير أن يكون للناس الأفاضل، وهذا قبيح في الظاهر وخاصة بالملوك الذين هم أس الفضائل ومعدن الخيرات، وباطنه أنه مغم للنفس؛ كدود للحسد غير جالب لنفع ولا دافع لضرر؛ ولا مؤثر في عدو.

(المنافسة)

فأما المنافسةُ فهي غيرُ الحسد، فلا بأس أن يتنافسَ الأكفاء في فضائلهم؛ وربما غلط قوم فظنُّوا أن المنافسة في الخير هي الحسد، وليس الأمر كما ظنوا؛ لأن المنافسة طلبُ (ق١٧/أ) التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر على الفاضل، والحسد مصروفٌ إلى الضرر؛ لأن غايته أنْ يعدم الفاضل فَضلَه. فهذا هو الفرق بين المنافسة والحسد.

(الامتنان)

ويجتنب الامتنان في الإحسان، والبذخ بالجميل؛ فإنه من ضيق النفس، وتابع لفساد الأخلاق، إلا أن يرى قومًا كفروا إحسانه وقاربوا عصيانه، فيخرج ذلك مخرج التهديد جزاء لقلة شكرهم وكفر إحسانه إليهم، ويكون ذلك منه إحسانًا آنفًا يستوجب به الشكر.

(تصفح الأعمال)

وليكنْ من رأيه أن يتصفح في ليلته ما فعله في نهاره؛ فإنَّ الليل أجمع للفكر وأحضر للخاطر، فإن كان صوابًا أحكمه وأمضاه، وإنْ كان قد مالَ فيه عن الصواب بادرَ إلى استدراكه إن أمكن، وانتهى عن مثله **(ق١٧ / ب)** في المستقبل، وليعلم إنما صدر من أفعاله فليس يخلو فيه ثلاثة أحوال:

إما أن يكون قد اقتصدَ في فعلها، ووقف منها على حدِّها، وهو العدلُ في كل الأمور. أو يكونَ قد أفرط فيها؛ أو قصر عنها، وكلاهما ميل عن القصد وخروج عن الحق. فليعرف ذلك بصبره وتحريه، وليفكر فيه قبل نفوذه وتقصيه.

وليكن - مع ذلك - متصفّحًا لأفعال غيره، فما أعجبَهُ من جميلها واستحسَنَهُ من فضائلها بادر إلى فعله، وزيّن نفسه بالعمل به، فإنَّ

السعيد من تصفَّح أفعال غيره فانتهى عن سيئها، واقتدى بأحسنها، فنال هنيء المنافع، وأمن خطر التجارب.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**السعيدُ من وعظ (ق١٨ / أ) بغيره**»[١].

وقال الشاعر:

إنَّ السَّعيد له من غيره عظةٌ وفي التجاريب تحكيمٌ ومعْتَبَرُ[٢]

(الحذر والاحتراس)

ولا يغفل عن الحذر والاحتراس، ويجعل التوكل على الأقدار

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الصغير جـ ٢، ص٥، وفي الأوسط (٢٨٣ مجمع البحرين)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عقبة بن عامر. ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١٧٨) عن طريق موسى بن عقبة عن أبي إسحاق به. قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تخريجه: ضعيف مرفوعًا. نقلاً عن تحقيق مسند الشهاب للقضاعي ١ :٧٩ رقم ٥٢، وأخرجه البيهقي في المدخل، والبزار في مسنده عن أبي هريرة، وقال الحافظ ابن حجر: صحيح. كشف الخفاء: ١ :٥٤٨، والسخاوي: المقاصد الحسنة ، ٢٤، وأورده الماوردي في الأمثال والحكم ص١٣٥ رقم ٢٠٥.

(٢) البيت مع آخر منسوبًا للحارث بن حلزة في البيان والتبيين للجاحظ ٢ : ١٠٦، وللحارث بن كلدة في الحماسة الشجرية ١ :٢٧٤. وعده جامع ديوان الحارث بن حلزة من منحول شعره، الديوان ص٢٣. وذكر الماوردي البيت في أدب الدنيا والدين ص٣٤٣ بغير نسبة.

طريقًا إلى إضاعة الحزم. وقيل لبعض الحكماء: ما الحزمُ؟ فقال: أن تحذر ما يمكن كونه. قيل: فما العجزُ؟ قال: أن تأمن ما يمكن كونه.

وليعلم أن بعض شدة الاتقاء والحذر مما يدعونا إليه ما يتقى ويحذرُ، فإن استعمل ذلك في غير موضعه أدخله شدة اتقائه فيما كان منه بدء إشفاقه. وقيل: من التوقِّي ترك الإفراط **(ق١٨ / ب)** في التوقي[١].

(الطيرة والفأل)

ويحذر من اعتقاد الطيرة؛ فإنه ليس شيء أضرّ بالرأي، ولا أفسد للتدبير منها، مع ورود السنة باجتنابها، والنهي عنها، ومن ظنَّ أن الطيرة تردُّ قضاءً أو تدفع محذورًا فقد وهم. فأما الفأل فمحمود؛ لأن فيه تقوية للعزم وباعثًا على الجد؛ فقد تفاءل رسول الله ﷺ في غزواته وحروبه[٢].

---

(١) القول في عيون الأخبار ٢: ٦، والبيان والتبيين ١: ٢١٠، وسراج الملوك ص٣٤٤ بغير نسبة. وفي مختار الحكم ص١٧٤، والبصائر ٧: ٢٩٣ ينسب إلى أفلاطون. وجعله مسكويه في الحكمة الخالدة ص١٩٥ من أمثال العرب.

(٢) انظر تفصيل ذلك في أدب الدنيا والدين ص٣٠٥.

ولا يحرك من الأمور ما كان ساكنًا، ولا يفتح منها ما كان مرتقبًا مالم يغلبه أضرار. فقد قيل في المثل: لا تفتح بابًا يُعْيِيك سدُّه، ولا ترم سهمًا يُعْجزك ردُّه، ولا تُفْسد أمرًا يُعْييك إصلاحه، ولا تغلقْ بابًا يُعْجِزُك افتتاحُه[1].

وقد قال الشاعر: (ق١٩/أ)

إيَّاك والأمرَ الذي إنْ توسَّعت ... موارده أعيت عليكَ المصادرُ

فما حسَنٌ أنْ يعْذُرَ المرءُ نفسهُ ... وليس له من سائر الناس عاذرُ[2]

(الملوك قدوة للرعية)

ولا يأمر بمعروف إلا بدأ بفعله، ولا ينهى عن منكر إلا بدأ بتركه، ولا يلم أحدًا فيما لا يلوم عليه نفسه، ولا يأمرهم ببر لا يأتمر به، فإن الناس بأخلاق ملوكهم يستنون، وعلى شاكلتهم يجرون لأنهم العلمُ المشار إليه والغرض المقصود نحوه.

وقد قال بعض الحكماء: أصلحْ نفسك لنفسك يكن الناس تبعًا

---

(١) في لباب الآداب ص٦٠ نسبته لأرسطو طاليس. في المستطرف ١: ٢٦ دون نسبة.

(٢) أوردهما الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٣٤٣ دون نسبة وأيضًا في شرح الحماسة للمرزوقي ٣: ١١٥٢، والتذكرة السعيدية ص٣٧٥، والعقد الفريد للملك السعيد ص١٤١.

لك[١].

وقال المأمونُ: أسْوَسُ الملوك من ساس نفسه لرعيته؛ فأسقط عنه مواقع حُجَّتها، وقطع مواقع محبته عنها[٢].

(الرجوع إلى الحق)

لا يأنف من حقٍّ إن لزمه، أو حجة إن قامت؛ فإن الرجوع إلى الحقّ أولى من المقام على ما سواه لمن علم وضوح حجته **(ق١٩/ب)** فإن كل امرئ إنما يخاطب بأصغر لسانيه، ويحبس نفسه عن إقامة الحجة عليه.

ويراعى أمر شهواته فإنها من نتائج الهوى المذموم؛ فيأتي منها مالم يكن في العقل قبيحًا، ولا في الشرع محظورًا.

فقد قال بعض الحكماء: إذا تفرَّغ الملك للهَوى، تفرغَت الرعية لإفساد ملكه[٣].

---

(١) في أدب الدنيا والدين ص٣٤٢ دون نسبة وفي لباب الآداب ص٤٤٩ ومختار الحكم ١٩٣ منسوب لأرسطو طاليس. ونسبه الطرطوشي في سراج الملوك (ط. مصر/١٣٠٦) ص١١٧ للخليل بن أحمد.

(٢) بلفظه، النويري: نهاية الأرب ٦: ٤٤، ومن كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلفظ: «أعقل الملوك من ساس نفسه للرعية بما يسقط حجتها وساس الرعية بما يثبت به حجته» غرر الحكم ص٢٧٠

(٣) تسهيل النظر، تحقيق رضوان السيد: ١٩٢.

وقال بعض البلغاء: مَنْ آثَرَ الهوى ضاعتْ رعيته، ومن داوم السكر فسدت رويته[١].

(محاسبة النفس)

فيهذب نفسه بسبْر أخلاقه، ويراقب وليه كمراقبة عدوه، ولا يحدث له الأنسة والانبساط؛ بترك التحفظ عند وليٍّ أو نسيب، فقد قال بعض الحكماء: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك[٢] فهذه كلمة كافية في أخلاق الملك الرشيد.

---

(١) تسهيل النظر، تحقيق رضوان السيد، ١٩٢.
(٢) بلفظه، أدب الدنيا والدين ص٢٤٣ غير منسوب لأحد.

(ق٢٠/أ)

الباب الثاني

في سياسة الملك

(شكر النعمة وحسن السيرة)

حق على كل من مكنه الله عز وجل في أرضه وبلاده، وائتمنه على خلقه وعباده، أن يقابل جزيل نعمه بحسن السريرة، ويجري في الرعية بجميل السيرة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾(١).

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سار فيمن بين ظهريه بسيرة حسنة كان له أجرها وأجر العاملين بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سار فيمن بين ظهريه بسيرة سيئة كان عليه وزرُها ووزر العاملين بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ**»(٢).

---

(١) ٢٨ سورة القصص: الآية ٧٧.

(٢) الحديث عن جرير بن عبد الله مرفوعًا في صحيح مسلم ٤:٢٠٥٩ رقم ١٠١٧، وجامع الترمذي ٤:١٤٩ وسنن النسائي ٥:٧٥، ٧٦، ومسند أحمد ٤:٣٥٧ ونصه في الدواوين كلها: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سنةً حسنةً، فعمل بها بعده، كتبت له مثل أجر مَنْ عمل بها ولا ينقص من** =

(ق٢٠/ب) وحُكي أنْ عثمان بن عبد الله وقف على محمد بن سماعة(١) القاضي وهو في مجلس قضائه يحكمُ بين الناس فقال: اسمع لا سمعت يا ابنَ سماعة! ثم أنشأ يقول:

لقد كُلِّفْتَ يا مسكينُ أمرًا ... تَضيق له قلوبُ الخائفينا

أتعلم أنَّ رب العرشِ قاضٍ ... وتقضي أنت بينَ العالمينا

فقام ابن سماعة من مجلسه، ودموعه جارية على خده.

وليس أحدٌ أولى بالحذر والإشفاق، وأحرى بالنصب والاجتهاد ممن تقلد أمور الرعية، لانقيادهم لحكمه، وتصرفهم بين أمره ونهيه، وصلاح جماعتهم بصلاحه، وفساد أمورهم بفساده.

وقد قالت الحكماء: رشاد الوالي خير من خصب الزمان(٢).

= **أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء».**

(١) محمد بن سماعة (١٣٠-٢٣٣هـ): أبو عبد الله محمد بن سماعة بن عُبيد بن هلال التميمي. أخذ عن صاحبي أبي حنيفة أبي يوسف ومحمد ابن الحسن. وولي قضاء بغداد للمأمون ثم استعفاه لما ضَعُف بصره. انظر ترجمته وأخباره في: أخبار القضاة لوكيع ٣: ٢٨٢-٢٨٩، تاريخ بغداد ٥: ٣٤١-٣٤٢ رقم الترجمة ٢٨٥٩، طبقات ابن سعد ٥: ٣٢١، والجواهر المضيئة ٢: ٥٨ رقم ١٨٩.

(٢) القول منسوب لأردشير في عهد أردشير ص٥٣، والإعجاز والإيجاز ص٥١. ولكسرى أنوشروان في مروج الذهب ١: ٣١١، والجوهر النفيس ٦٧.

وأرشدُ الولاة من حرس ولايته بالدين (ق٢١ /أ)، وانتظم بنظره صلاح المسلمين، وربما أهملَ بعض الملوك أمر الدّين، وعول في أموره على قوته، وكثرة أجناده، وليس يعلم أن أجناده إذا لم يعتقدوا وجوب طاعته في الدين كانوا أضرَّ عليه من كل ضرٍّ مباينٍ، لاقتراحهم عليه ما لا ينهض به، وتحكُّمهم عليه بما لا يثبت له؛ فإنْ سمعوا بنابغ نبغ عليه، قوي طمعُهم في اجتياج أمواله، ولم يقنعهُم استيعابُ حاله؛ فكان منهم على شفا جرفٍ لا يأمنُ من سطوتهم به.

وقد قيل: من جعلَ ملكه خادمًا لدينه انقاد له كلُّ سلطانٍ، ومن جعل دينه خادمًا لملكه طمع فيه كلُّ إنسان[1].

(الدين والملك)

وقال بعض الحكماء: ينبغي للملك أنْ يأنفَ أنْ يكونَ في رعيته من هو أفضل دينًا منه، كما يأنفُ أن يكون (ق٢١ /ب) فيهم من هو أنفذُ أمرًا منه.

---

(١) القول في لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص٥٤، وأحاسن المحاسن ص١٥١ بغير نسبة. وفي سر الأسرار ص١٧٧: «يا إسكندر! أي ملك أخدم مُلْكه دينه فهو مستحق للرياسة وأي ملك جعل دينه خادمًا لملكه فهو مستخف بناموسه. ومن استخف بالناموس قتله الناموس».

وقال أردشير بن بابك[١]. في عهده[٢] إلى ملوك فارس: إنّ الدّين والمُلْكَ تَوْأمان لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه؛ لأنَّ الدِّينَ أسٌّ؛ والملك حارسٌ، ولا بدَّ للملك من أسّه، ولا بدّ للدين من حارسه؛ لأنَّ ما لا حارس له ضائع، وما لا أسَّ له منهدم[٣].

وكيف يرجو من تظاهر بإهمال الدين استقامة مُلْكٍ، وصلاح حال، وقد صارَ أعوانُ دولته أضدادها، وسائر رعيته أعداءها، مع قبح أثره وعظم وزره، وكذلك قال النبي عليه السلام: «**ستحرصون على**

---

(١) أردشير (بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء) قاله الدارقطني الحافظ، وقال غيره: معناه دقيق وحلو، وهو لفظ أعجمي مكون من لفظتين (أرد) وهو عندهم الدقيق و(شير) الحليب، و(شيرين): الحلو. وقال بعضهم: أزدشير (بالهمزة والزاي)، قال ابن مكي الصقلي: والصواب أردشير بن بابك براءين وفتح الياء. تثقيف اللسان ٦٥، وانظر مجلة العرب ١ :١٥٢ وهو أردشير الأول (٢٢٧–٢٤١) ابن بابك، مؤسس الدولة الساسانية، وصاحب «العهد» المعروف لمن بعده من ملوك بني ساسان (نشره إحسان عباس ١٩٦٧). وانظر عنه تاريخ الطبري ١ :٨١٣–٨١٦، الأخبار الطوال ص٤٢–٤٥، مروج الذهب للمسعودي ١ :٢٨٥–٢٩٠، وغرر أخبار ملوك الفرس ص٤٧٣–٤٨٦.

(٢) عهد أردشير: وصية جامعة لمؤسس دولة جمع فيها تجاربه ومعرفته منسقة فصار دستورًا لهم يحاط بالإجلال والتقديس. ويرجح أنه ترجم إلى العربية في أواخر العهد الأموي. انظر مقدمة عهد أردشير ص٣٥.

(٣) عهد أردشير تحقيق ونشر إحسان عباس ص٥٣، والفقرة ٤.

الإمارة، ثم تكون حسرةً وندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة»(١).

(**ق٢٢ /أ**) وقال بعض الحكماء: «الملك خليفة الله في عباده وبلاده، ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته»(٢). فالسعيدُ من الملوك من وقى الدين بمُلْكه، ولم يق الملك بدينه، وأحيى السنةَ بعدله، ولم يمتها بجوره، وحرس الرعيةَ بتدبيره؛ ليكون لقواعد مُلكه موطدًا، ولأساس دولته مشيدًا، ولأمر الله تعالى في عباده ممتثلاً(٣).

(أصول السياسة العادلة)

وأصل ما تبنى عليه السياسة العادلة في سيره: الرغبة، والرهبة، والإنصاف.

(الرغبة)

فأما الرغبة: فتدعو إلى التآلف وحسن الطاعة، وتبعثُ على الإشفاق، وبذلِ النصيحةِ، وذلك من أقوى الأسباب في حراسة

(١) الحديث في صحيح البخاري ٦: ٢٦١٣ رقم ٦٧٢٩ في الأحكام، باب: ما يكره من الحرص على الإمارة، وسنن النسائي ٨: ٢٢٥، ومسند أحمد ٢: ٤٧٦ عن أبي هريرة، ولفظه «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة؛ فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة**».

(٢) القول منسوب إلى أرسطو في لباب الآداب ص٥٨.

(٣) تسهيل النظر، تحقيق محيي هلال السرحان، ص١٥١.

المملكة.

وقد قيل: من وثقَ بإحسانك أشفقَ على سُلطانك[١].

وقال أبرويز[٢]: أجهلُ الناس من يعتمدُ في أموره على مَنْ لا يأمل خيرَهُ. ولا يأمَنُ شَرَّهُ[٣].

(الرهبة)

وأما الرهبة: **(ق٢٢/ب)** فتحسم خلافَ ذوي العناد، وتمنعُ سعيَ أهلِ الفساد؛ وذلك من أقوى الأسباب في تهذيب المملكة. وقد قيل: من أمارات الجَدِّ حسن الجِدِّ، ومن علامات الدولة قلة الغفلة[٤]. وقال بعض البلغاء: من أعرضَ عن الحَذَرِ والاحتراس، وبنى أمره على غير أساسٍ، زالَ عنه العزُّ، واستولى عليه العجزُ[٥].

---

(١) تسهيل النظر ص١٧٣.

(٢) كسرى أبرويز (٥٩٠-٦٢٧م) المعروف بكسرى الثاني، أحد ملوك الفرس، ولي بعد خلع أبيه هرمز، وملك ثماني وثلاثين سنة، حتى ضجر الناس منه فخلعوه ونصبوا ابنه شيرويه،. أخباره في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص٦٦١-٧٢٧، والمعارف: ٦٦٥، ومروج الذهب ١: ١٦٩-١٧٥.

(٣) لباب الآداب ص٥٨.

(٤) القول عن أرسطو طاليس في لباب الآداب ص٦٨، وقوانين الوزارة ٦٨.

(٥) الماوردي: الأمثال والحكم ص١٥٧ رقم ٢٤٠، وقوانين الوزارة ص٩١، ولباب الآداب ص٦١.

(الإنصاف)

وأما الإنصاف فهو العدل الذي به يستقيم حالُ الرعية، وتنتظمُ أمور المملكة.

وقد قيل: من عدل في سلطانه، استغنى عن أعوانه[١].

وقال بعض الحكماء:

الملك يبقى على الكفر، ولا يبقى على الظُّلْم[٢].

فأخذه بعضُ هذا العصر فقال:

عليك بالعدل إن وُليتَ مَملكةً (ق٢٣/أ) واحـذر من الجور غايةَ الحـذرِ

فالُملكُ يبقى على الكفر البهيم ولا يبقى مع الجور في بدْوٍ ولا حضرِ[٣]

وقال الإسكندر لحكماء الهند: أيُّهما أفضل: العدلُ أم الشجاعة[٤]؟

---

(١) في لباب الآداب ص ٥٨ نسبة القول إلى أرسطو طاليس.

(٢) أدب الدنيا والدين ص١٤٢، والتمثيل والمحاضرة ص١٣٠ والمصباح المضيء ١: ٤٦١، والشفا في مواعظ الملوك والخلفاء لابن الجوزي ص ٥٤.

(٣) تسهيل النظر ص١٨٤.

(٤) في أدب الدنيا والدين ص١٤١ مع تعديل طفيف، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك ص٦٣، والمصباح المضيء ١: ٢١٧، ولباب الآداب ص٥٧، ونهاية الأرب: ٦: ٣٥.

قالوا: إذا استعمل العَدلُ استغني عن الشجاعة.

وقال أردشير: إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة[١].

(الانتصاف)

وأما الانتصاف ففيه إعزاز الملك وتوفير الأموال، وليس في العدل ترك مال من وَجْهه، ولا أخذه من غير وجهه؛ بل كلا الأمرين عدل؛ لا استقامة للمُلك إلا بها.

وقال بعض الحكماء: لا يستغني الملكُ عن الكُفاة، ولا الكُفَاة عن الإفضال، ولا الإفضالُ عن المادة، ولا المادةُ عن العَدل[٢].

فالملك بغير كفاة مختلّ، والكفاة بغير الإفضال **(ق٢٣/ب)** مسلطون، والإفضالُ بغير المادة منقطعُ، وإنما يقيمُ الموادَّ بتسليط العدل، وفي تسليط العدل حياة الدنيا، وبهاء الملك.

---

(١) القول بنسبته إلى أردشير في ثمار القلوب ص١٧٨، وفي التمثيل والمحاضرة ١٣٦ وملحقة بعهد أردشير ص١٠٢، رقم الفقرة ٢٦ والمستطرف ١:١٠١.

(٢) أصل الفكرة في عهد أردشير ص٩٨ نصها «لا سلطان إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالعمارة، ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة». وقارن التمثيل والمحاضرة ١٣٦، وغرر أخبار ملوك الفرس ٤٨٢، وسراج الملوك ص٨٨.

وليس تصح هذه الأمور إلا بالوقوف على حدها، واستعمال كل واحد منها في موضعه، فإن استعمال الرغبة في موضع الرهبة فساد في السياسة، وما أحسن ما قال المتنبي[١] في هذا المعنى.

ووضْعُ النّدى في موضع السَّيف بالعُلى

مُضر كوضع السيف في موضع الندى[٢]

وقال بعض الحكماء: من سكرات السلطان الرضا عن بعض من يستوجب السخط، والسخط عن بعض من يستوجب الرضا[٣].

(سياسة الملك للأعوان والحاشية)

وليعلم أنّه لا استقامةَ لهُ، ولرعيته، إلا بتهذيب أعوانه وحاشيته؛ لأنه لا يقدرُ على مباشرة الأمر بنفسه، **(ق٢٤/أ)** وإنما يستنيبُ فيها الكفاةَ من أصحابه. وقد شَبَّهَ المتقدمونَ السائس المدبّرَ للمملكة في

---

(١) أبو الطيب المتنبي (٣٠٣-٣٤٥ هـ): أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي، الشاعر المشهور الذي ملأ الدنيا وشغل الناس. ومن مصادر ترجمته: يتيمة الدهر للثعالبي: ١٢٦-٢٣٨، وتاريخ بغداد ٤: ١٠٢-١٠٥، ووفيات الأعيان ١: ١٠٢-١٠٧ رقم الترجمة ٤٩.

(٢) في ديوان المتنبي بشرح الواحدي ص٥٣٣ من قصيدة مطلعها:

لكل امرئ من دهره ما تعــودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

(٣) قوانين الوزارة تحقيقي والدكتور محمد سليمان ص ٤٨، كليلة ودمنة ص ١٢٩، ١٣٠ وتذكرة ابن حمدون ١: ٢٩٩ والنمر والثعلب لسهل بن هارون ص ١٦.

السلم والحرب بالطبيب المدبر للجسد في حفظ الصحةِ، وعلاج الأمراض؛ وشبهوا اليدين في بطشها بالجند والأعوان، والرجلين بالكراع، والظهر والعينين بالحُجَّابِ والحرس، والأذنين بأصحاب البريد والأخبار، واللسان في نطقه بالوزراء، والكتاب بالخطباء، والأعضاء المجاورة للقلب بحاشية الملك على طبقاتهم في القرب والبعد.

وحاجةُ الخاصة إلى العامة في الاستخدام كحاجة الأعضاء الشريفة إلى التي ليست بشريفة؛ لأن بعض الأمور لبعض سبب، وعوامُّ الناس لخواصهم عُدَّة، ولكل صنف منهم إلى الآخر حاجة. **(ق٢٤/ب)** وإذا كان أعوانه منه بمنزلة أعضائه التي لا قوام للجسد إلا بها، ولا يقدر على التصرف إلا بصحتها واستقامتها، وجب عليه تقويم عوجهم، وإصلاح فاسدهم، وإبادة من لا يرجى صلاحه منهم كالسِّلع[١] التي لا يستقيم الجسد إلا بقطعها[٢].

قال أبرويز: من اعتمد على كفاةِ السوء لم يخلُ من رأيٍ فاسدٍ، وظنٍّ كاذب، وعدوٍّ غالب[٣].

وأصل ما يبني عليه قاعدة أمره في اختبار أعوانه وكُفاته، أنْ

---

(١) السلع: جمع سلعة، وهي زيادة في البدن كالغدة تتحرك إذا تحركت.
(٢) تسهيل النظر ١٩٢، ١٩٣.
(٣) قوانين الوزارة ١١٠، ونهاية الأرب ٦: ١١٤.

يختبرَ أهل دولته، ويَسْبُرَ جميع حاشيته، ويتصفّح عقولهم وآراءهم، ومعرفة هممهم وأغراضهم، حتى يعرف بواطن أحوالهم، وكوامن أخلاقهم؛ فإنّه إذا فعل ذلك وجد طباعهم مختلفةً، وهممهم متباينة؛ فيصرف كلَّ واحد فيما طُبِعَ له وجبل عليه **(ق٢٥ / أ)** ولا يعطي أحَدَهم منزلةً لا يستحقّها، ولا يستكفيه أمر ولاية لا ينهض بها، ولا ينقصه عن مرتبته التي يستحقها بحسن كفايته؛ فكلا الأمرين مضر، وبالسياسة مُعر.

وقد قال بهرام جور[١]: لا شيء أضر على الملك من استخبار من لا يصدق إذا خبر، واستكفاء من لا ينصح إذا دبَّر[٢].

وقد قيل لبرزجمهر: كيف اضطرب بعض أمور آل ساسان وفيهم مثلك قال: لأنهم استعانوا بأصاغر العمال على أكابر الأعمال؛ فآل أمرهم إلى ما آل[٣].

وقيل: من استعان بأصاغر رجاله على أكابر أعماله، فقد ضيَّع العمل وأوقع الخلل.

وقد قال بعض حكماء البلغاء: من استوزَر غير كافٍ، خاطر

---

(١) هو بهرام بن يزدجرد الأول، ولد في سنة ٤٢٠م.

(٢) بلفظه ونسبته في لباب الآداب ص٥٦ وقارن المصباح المضيء ١: ٤٩٥.

(٣) سراج الملوك (ط ١٢٨٩ هـ) ص٩٣.

بملكه، ومن استشار (ق٢٥ / ب) غير أمين أعان على هلكه، ومن أسرَّ إلى غير ثقة ضيّع سرَّهُ، ومن استعانَ بغير مستقلٍّ أفسد أمرَهُ، ومن ضَيَّعَ عاقلاً دَلَّ على ضعف عقله، ومن اصطنع جاهلاً أعرب عن فرط جهله. وليحذر تولية أحد بشفاعة شفيع أو لرعاية حُرمة، إذا لم يكن مضطلعًا بثقل ما ولي، ولا ناهضًا بعبء ما استكفي.

فقد قال بعض الحكماء: من قلَّد لذي الكفاية سلم، ومن قلَّد لذي الرعاية نَدِمَ[١].

وكذلك لا يورثُ الأبناء منازل الآباء إذا لم يتناسبوا في الشيم والطباع، كما لا يرثُ الأشرارُ مراتب آبائهم الأخيار، ولا يستخدم في الكتبة من كان أبوه كاتبًا إذا كان هو غير كاتبٍ، فإن أحب مكافأة أحدٍ من هؤلاء كافأه (ق٢٦ / أ) بالمال والصلة، وأضرب عن إطماعه في الولاية؛ ليكون قاضيًا لحقوقهم بماله، ولا يكن قاضيًا لحقوقهم بملكه[٢].

حُكي أنه كان على باب كسرى ساجةٌ منقوشة بالذهب عليها

---

(١) في أحاسن المحاسن ص١٦٦ معناه بلفظ «لا تستكف إلا الكفاة النصحاء، ولا تستبطن إلا الثقات الأمناء... فمن أسلم لغير الكفاة أعماله ضيع ولايته وأمواله».

(٢) تسهيل النظر ص١٩٨.

مكتوب: العمل للكفاة، وقضاء الحقوق على بيوت الأموال[١].

ومن رآه قد تصدَّى للمعالي ليسَ من أبنائها فلا بأسَ باستكفائه، إذا كان على ما تصدّى له مطبوعًا، وإليه منسوبًا، إذ لا سبيل إلى نجباء أولاد نجباء على الأبد[٢].

(من يتفقدهم الملك من أعوانه؟)

وبالملك أشدُّ الحاجة إلى تفقد أربع طبقات، ولا يستغني عن تفقد أحوالهم بنفسه؛ لأنهم عمادُ مملكتِهِ، وقوامُ دولته.

فالطبقة الأولى: **الوزراء**، لأنهم خلفاؤه، وعلى أيديهم تصدر (**ق٢٦ / ب**) أفعاله؛ فإن أحسنوا نسبَ إليه إحسانُهم، وإن أساءوا أضيف إليه مساوئهم مع عظم الضرر الداخل عليه في مملكته، والقدح الموهن لدولته.

وقد قال النبي ﷺ: «**إذا أراد الله تعالى بالأمير خيرًا جعلَ له وزير صدقٍ، إن نسيَ ذكرَهُ، وإن ذكَر أعانَهُ، وإذا أراد الله تعالى به غيرَ ذلك جعلَ له وزير سوءٍ، إنْ نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يُعنْهُ**»[٣].

---

(١) في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١ :١٦٣.

(٢) تسهيل النظر ص ١٩٨، ١٩٩.

(٣) الحديث عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا في سنن أبي داود ٣ :١٣١ رقم ٢٩٣٢، وسنن النسائي ٧ :١٥٩، ومسند الإمام أحمد ٦ :٧٠.

والطبقة الثانية: **القضاة والحكام**، الذين هم موازين العدل؛ بتفويض الحكم إليهم، وحراسُ السنة باتباعها في أحكامهم، وبهم ينتصفُ المظلوم من الظالم في رد ظلامته، والضعيف من القوي في استيفاء حقه. **(ق٢٧ /أ)** فإنْ قَلَّ ورعُهم وكَثر طمعُهم، أماتوا السنَّة بأحكامٍ مبتدعة، وأضاعوا الحقوقَ بأهواء متبعة، فكان قدحُهم في الدّين أعظمَ من قدحهم في المملكة، في إبطالِ العدل أعظمَ من إضرارهم بالمتحاكمين إليهم في إبطال الحقّ.

وقد قيل: من أقبحِ الأشياء سخفُ القضاة، وظلمُ الولاة[١].

وقال أنو شروان: ما عَدَلَ مَنْ جارتْ قُضَاتُه، ولا صَلُحَ مَنْ فَسَدَتْ كفاتُه[٢].

والطبقة الثالثة: **أمراء الأجناد**، الذين هم أركان دولته، وحماةُ مملكته، والذابون عن حريم رعيته، والمالكون أعنّة أجناده، والعاطفون بهم على صدق نصرته وموالاته؛ فإذا استقامتْ له هذه الطبقةُ؛ استقام **(ق٢٧ /ب)** له جميعُ أعوانِهِ، وإن اضطربتْ عليه فَسَدَ نظامُ تدبيره مع سائر أجناده؛ لأنهم إلى طاعة أمرائهم أسرعُ، ولقول كبرائهم أَطْوَعُ، فإذا خافَ سطوةَ من بهم يسطو، ولم يأمن جانب من

(١) تسهيل النظر ص٢٠٤.

(٢) قول أنوشروان في أحاسن المحاسن ص١٤٦.

بهم ينجو كان بملكه مُغررًا، وبنفسه مخاطرًا.

وقد قال بعض الحكماء: إنّ الوفاء لك بقَدْر الجزاء منك[١]

والطبقة الرابعة: **عمال الخراج**، الذين هم جباةُ الأموال، وعمارُ الأعمال، والوسائطُ بينه وبين رعيته، فإن نصحوا في أمواله، وعَدَلوا في أعماله، توفرتْ خزانتُه بسعةِ الدخلِ، وعمرتْ بلادهُ ببسط العدل.

وقد قيل: فضيلةُ **(ق٢٨/أ)** السلطان عمارةُ البلدان[٢]. وإن خانوا فيما اجتبوه من أمواله، وجاروا فيما تقلدوه من أعماله، نقصتْ موادُّه، وخربت بلادُه، وتغير عليه لقلة دخله أجناده، وتولد منه ما ليس يحل فساده.

وقد قال بعض الحكماء: ظُلْم العمال، ظُلْمة الأعمال[٣].

وحُكي أنَّ المأمون جلسَ يومًا وحضر العمال فقبلهم أعمالَ السواد، واحتاط في العقود فلما فرغ قام إليه عبيد الله بن الحسن العنبري[٤] فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى دفعها إليك أمانةً،

---

(١) في لباب الآداب ص٥٩ نسبة هذا القول من كلام أرسطوطاليس.

(٢) أورده الأمير أسامة بن منقذ ضمن أقوال أرسطوطاليس بلفظه. لباب الآداب ص٦٨.

(٣) تسهيل النظر ص٢٠٦.

(٤) عبيد الله بن الحسن العنبري، قاض. من الفقهاء والعلماء بالحديث، من =



فلا تخرجها عن يدك قبالةً. قال: صدقتَ. وفسخ ذلك. وإنما أراد عبيد الله ابن الحسن العنبري أن تقبيل الأعمال ذريعةٌ **(ق٢٨ / ب)** إلى تحكيم العمال، وتحكيمهم سببٌ لخراب الأعْمال، فتنبه المأمون على مرادِه[١].

(تفقد الملك بنفسه لمن يستخدمهم في شئونه الخاصة)

وها هُنا طبقة أخرى يجبُ أن يتفقد أحوالهم بنفسه، غير أنهم يختصّون بحراسة نفسه؛ لا لسياسة ملكه، وهم الذين يستخدمهم في مطعمه ومشربه وملبسه، ومن يقرب منه في خلوته؛ فإنهم حصنُهُ من الأعداء، وجُنَّته من الأسْواء.

= أهل البصرة. توفي سنة ١٦٨ هـ. انظر أخباره: أخبار القضاة لوكيع ٢:٨٨-١٢٣، وتاريخ بغداد ١٠:٣٠٦-٣١٠، وتهذيب التهذيب ٧:٧٨ ولا يمكن لعبيد الله العنبري معاصرة المأمون الذي ولي الخلافة ١٩٨ هـ، ولم يستطع القدوم إلى بغداد إلا بغد عام ٢٠٣ هـ. وانظر عدم تأييد الفقهاء للقبالة: الخراج لأبي يوسف تحقيق أحمد شاكر طبعة ١٣٥٢ هـ ص١٠٥.

(١) قوانين الوزارة ص١١٩، وفي محاضرات الأدباء ١:١٦٨ «قبل المأمون السواد من إسحاق بن إبراهيم ثلاث سنوات فانقضت قبالتُه فسأله أن يجددها فجلس المأمون، فقال: أيها الناس! إني قبلتُ السواد من إسحاق ثلاث سنين وانقضت، وسأل أن أقبله ثلاثًا مستأنفة فهل له من شاك أو متظلم؟ فقام شيخ فقال: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى جعلنا في يدك أمانة ولم يجعلنا قبالة فإن رأيت أن لا تقبلنا من أحدٍ فافعل! فقال: لا قبلت بعد هذا».

وقد اختار حكماء الملوك أن لا يستخدموا في مثل هذا إلا أحد ثلاثة:

إما من تربى مع الملك وألِفَهُ.

وإما من ربَّاه الملكُ على أخلاقِه.

وإما من رُبِّيَ الملكُ في حجْرِه.

فإن هؤلاء أهل الصدق في موالاته، ونصح في خدمته، وعُلُوٌّ في حفاظه ورعايته، ومن أجل ذلك وجبَ أنْ يكونَ إحسانُه إليهم (ق**٢٩** /أ) أكثرَ، وتفضلُهُ عليهم أظهر، ويتولى فعلَ ذلك بنفسه، ولا يكلُهم إلى غيره.

فقد قيل في سالف الحكم: إنه ليس مَنْ استكرهَ نفسَهُ في حظِّك كمن كان حظُّهُ في طاعتك[١].

(تفقده لمن سوى هؤلاء)

ثم يتفقدُ من سوى هذه الطبقات بحسب منازلهم في خدمته فقد قيل: من قضيتَ واجبَه، أمنت جانبَهُ[٢].

---

(١) تسهيل النظر ص٢٠٨.

(٢) قوانين الوزارة ١١٢، ونهاية الأرب ٦: ١١٧.



(تصفح أحوال الحاشية في زمان السلم)

وليعلم أن لكل طبقة من الحاشية والأعوان آفة مفسدة؛ وبلية قادحة، يقف عليها عند سبرهم واختبارهم، ويظهر ما استكن منها بالبحث عن أحوالهم.

وقد قيل: آفة الملوك سوء السيرة، وآفة الوزراء خبث السريرة، وآفة الجند مخالفة القادة، وآفة الرعية مفارقة الطاعة **(ق٢٩/ب)**، وآفة الزعماء ضعف السياسة، وآفة العلماء حب الرياسة، وآفة القضاة شدة الطمع، وآفة العدول قلة الورع، وآفة الملك تضاد الحماة، وآفة العدل ميل الولاة، وآفة الجريء إضاعة العزم، وآفة القوي استضعاف الخصم، وآفة المجد عوائق القضاء، وآفة المشاورة انتقاض الآراء، وآفة المنعم قبح المن، وآفة المذنب سوء الظن[١].

(حسم مواد الفساد)

فإذا وقفَ على مواد فسادهم وأسباب آفاتهم، حسم ببحثه وسبره المواد المفسدة، وقطع بكشفه وخبره الأسباب الموهنة، لتستقيم له

---

(١) قاله أبو الحسن علي بن محمد الصغاني في كتابه الفوائد والقلائد في الاستعانة على حسن السياسة... نقلاً عن لباب الآداب ٦٧، ٦٨، وانظر سلوك المالك ص٢١٧، ٢١٨.

مصادرُ الأمور، ويأمن نتائج التقصير[١].

(تفقد الملك سيرة حماة البلاد وولاة الأطراف)

ويكون كثير الاعتناء بسيرة حُماة البلاد وولاة الأطراف، الذين قد فوضَ إليهم أمانات ربِّه، واستخلفهم على **(ق٣٠/أ)** حفاظ خلقه، فيندب لذلك من أمنائه من قد حاز خصالَ التفويض، واستحق بحزمه وشهامته الولاية والتقليد.

وقد قال أردشيرُ في بعض حكمه: لا يصلُح لسدِّ الثغور، وقود الجيوش، وتدبير الخيول، وحراسة الأقاليم إلا من تكاملتْ فيه خمسُ خلالٍ:

حزمٌ يتيقن به عند موارد الأمور وحقائقَ مصادرها، وعلم يحجزُه عن التهور في المشكلات؛ إلا عند تجلي فُرصتها، وشجاعة لا ينقضها الملمات بتواتر جوائحها وعظيم هولها، وصدق في الوعد والوعيد، يوثق منه بالوفاء عليها، وجود يهون عنده تبذير الأموال عند ازدحام السؤال عليه[٢].

---

(١) تسهيل النظر ص ٢٣٦ مع اختلاف يسير.

(٢) أورده المسعودي ونسبه إلى هرمز بن سابور بلفظ: كتب إلى بعض عماله: لا يصلح لسد الثغور، وقود الجيوش، وإبرام الأمور، وتدبير الأقاليم إلا رجل تكاملت فيه خمس خصال....» مروج الذهب ١: ٢٩١.

وهذه خصال إن لم يحزها ذوو السياسة ويكملها **(ق٣٠/ب)** أولو الرعاية كان إخلالهم فيما يقلدون من أعمالهم بقدر إخلالهم بما عدموه مع تكامل خصالهم. وقد يقترن بهذه الخصال ما يخالف حاله على حسب اختلاف الزمان، فربما حمد من أخلاقه في بعض الأزمان اللين واللطف، وفي بعض الأزمان الخشونة والعنف، فإن لكل زمان حكمًا، ولكل قوم تدبيرًا.

وقد وصف عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أخلاق الولاة فقال: لا يصلح أن يلي أمر الأمة إلا حصيف العقدة[١] قليل الغرة، بعيد الهمة، لا يخشى في الله لومة لائم، ثم يكون شديدًا من غير عنف، لينًا من غير ضعفٍ، جوادًا من غير سرفٍ[٢].

وهذه الأخلاقُ التي وصفها يجبُ أن تكون لازمةً لكل والٍ، مطبوعةً في كل مدبرٍ.

ثم يحفظ مراتب **(ق٣١/أ)** جماعتهم، وينزلَ كل واحد منهم المنزلة التي يستحقها لكفايته وحسن أثره؛ فإن حفظ المراتب في المملكة أولى من حفظ السمع والبصر، لعظم المنافسة فيها، وكثرة

---

(١) حصيف العقدة أي ما عقد عليه من رأى وعزم.

(٢) أورده الماوردي في كتابه أدب القاضي ١:٢٥٤، وانظر عيون الأخبار ١:٩، والعقد الفريد ١:٢٨، والبيان والتبيين ٣:٢٥٥.

المزاحمة عليها، وقد يدلس عليها كتدليس البهْرج، وترشحُ لها من ليس من أهلها غاصبًا عليها، فتصغر فيها أيدي أربابها، وينفذ فيها حكم غصابها، وليس كل من تعاظم بعظيمٍ، ولا كل من تسود بسيد صار، والناسك غير المتناسك، والشريفُ غير المتشرف، ولا خير في مملكة، الرؤوس فيها أذنابًا، والأذناب رؤوسًا[١].

وهذا أمر يجب صرف الاهتمام إليه لما في نظامه من نضارة الملك وغضارته، وبهجة العيش **(ق٣١/ب)** ولذته، إذ لاشيء أعظم إيحاشًا من إضاعة مثله سعي الكفاة، ورفع السفلة الدناة.

فإذا حمد سعي صاحب في ولايته أقره على عمله، فإنه وإن حسن أن ينقل الجند من مرتبة إلى أخرى فليس بصواب أن ينقل والي مدينة إلى مدينة أخرى، ولا صاحب خراج إلى ولاية أخرى، بل تكون ولايته ما بقي على جميل السيرة، فإن أتى بمعصية أو خيانة صرفه صرفًا لا ولاية بعده إلا عن توبة وإقلاع.

وكذلك القول في الحاشية والحكام، والعلة في ذلك أنه متى عُرف من السلطان أنه يرى الصَّرْف والاستبدال، اعتقد كل والٍ أن أيامه قصيرة، فعمل لسوق يومه مُحْتجنًا للأموال في صدر ولايته،

---

(١) تسهيل النظر ٢٣٩، ٢٤١.

(ق٣٢/أ) ولم يلتفت إلى صلاح غده، فإذا صرف خلف البلاد على من بعده مريضة ثم زادها الثاني مرضًا حتى تخرب.

فإذا سكنت نفس الناظر أن أعماله مقرة عليه، نظر فيها كنظر الشافي غلاتهم، وكان فكره في صلاح غده قبل فكره في صلاح يومه؛ لعلمه بأن خير العاقبة أو شرها عائد عليه، ومنسوب إليه[١].

وليكن نزها عن أموالهم غير طامع في شيء من أحوالهم، فإنه إن طمع منهم في اليسير، أطمعهم في الكثير، وإن أخذ منهم مالاً أخذوا منه أضعافه، فيظن أنه قد ارتفق بمال غيره، وهو قد أخذ بعض حقه مع قبح القالة وسوء العاقبة.

وقد قيل: من طمع في أموال عماله، ألجأ بهم (ق٣٢/ب) إلى اقتطاع أمواله[٢].

وقال أنو شروان: من خاف شرك، أفسد أمرك[٣].

وقال أردشير: لا ترجو خير من لا يرجو خيرك، ولا تأمن جانب

---

(١) تسهيل النظر ص٢٤٣، ٢٤٤ مع تعديل يسير.
(٢) لباب الآداب ص٥٦، وفي التمثيل والمحاضرة ص١٣١ «السلطان إذا قال لعماله: هاتوا فقد قال لهم خذوا».
(٣) في أحاسن المحاسن ص١٤٧.

من لا يأمن جانبك[١].

فإن ظهرمنهم على مال قد احتجنوه؛ أو حق قد خانوه، طالبهم به مطالبة المدين المنصف ثم كان من وراء تأديبهم بعد استيفاء حقه، واسترجاع ماله[٢].

وإذا وجد من بعض خدمه هفوة أو تقصيرًا لم يأته عمدًا، ولا فعله قصدًا، لم يأخذه بذنب الدهر وعوائق القضاء، مع حسن الثقة به.

فقد قيل: أي عالم لا يهفو، وصارم لا ينبو، وجواد لا يكبو[٣].

وقال الشاعر[٤]:

(ق٣٣/أ)

ولسْت بمُسْتبقٍ أخًـا لا تلُمـه   على شَعثٍ أيُّ الرجال المهذَّبُ

---

(١) أحاسن المحاسن ص١٤٧.

(٢) تسهيل النظر ص٢٤٥ مع تعديل يسير.

(٣) في أدب الدنيا والدين ص١٧٩ وقارن عيون الأخبار ١: ١٠٢، ونهاية الأرب ٨: ١٨١.

(٤) الشاعر هو النابغة الذبياني؛ والبيت من قصيدة له في ديوانه (صنعة يعقوب بن السكيت، تحقيق شكري فيصل، دار الفكر، بيروت ١٩٦٨)، ص٧٣-٧٩ وديوانه (نشرة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية ١٩٧٦) ص٥٤-٥٦ وهي في الاعتذار للنعمان بن المنذر، ومطلعها:

أرسمـا جديدًا من سعاد تَجَنَّبُ   عفت روضةُ الأجداد منها فيثْقَبُ =

وإذا قطعت بعضهم عن الخدمة قواطع ظهرت أعذارها، ووضح برهانها، لم يكلفه فعل ما ليس في وسعه، فقد تقطع الملوك القواطع عن حقوق أنفسهم فكيف بأوليائهم وخدمهم[١].

(استخبار الملك عن رعيته وحاشيته والنائبين عنه)

وإن الملك جدير أن لا يذهب عنه صغير ولا كبير من أخبار رعيته، وأحوال حاشيته، وسيرة خلفائه، والنائبين عنه في أعماله، بمداومة الاستخبار عنهم، وبث أصحاب الأخبار فيهم سرًّا وإعلانًا، وينْدب لذلك أمينًا يوثق بخبره، وينصح الملك في مغيبه ومحضره، غير شره فيرتشي، ولا ذي هوى فيعتدي، لتكون النفس إلى خبره ساكنة، وإلى كشفه عن حقائق (ق٣٣/ب) الأمور راكنة؛ فإنه لا يقدر على رعاية قوم تخفى عنه أخبارهم، وتنطوي عنه آثارهم، فربما ظن استقامة الأمور بتمويه ألحق به، فأفضى ذلك إلى هلاك رعيته، وانتهز العدو فرصة غفلته، واستثار من وهج ناره وشره ما عساه يصعب، بعد أن كان سهل المرام، ويقوى بعد أن كان ضعيف القوام[٢].

= وقد ذكر الماوردي البيت في أدب الدنيا والدين ص١٧٤ منسوبًا إلى النابغة.

(١) تسهيل النظر ص٢٤٧ مع تعديل.

(٢) تسهيل النظر ص٢٤٨ مع تعديل طفيف.

وإذا كان باحثًا عن الأخبار، انكشف له غطاء الغفلة، وانجلت عنه شُبه الحيرة، فساس الأمور ببصيرته، وحرس الرعية بإيقاظ عزيمته، وتهيب أعوانُه فعل الجرائر فاستقاموا وتجنبوا قبح المطالب فانصانوا[١].

وتكون عنايته بأخبار من بعد عن حضرته (ق٣٤/أ) كعنايته بأخبار من قرب منها؛ بل ربما كان ذلك أهم؛ لأن بعد الديار يبسط أيدي الظلمة، فإذا وافق بعدُ دارِهم قلّة الاستخبار عن أحوالهم، أمنوا في اتباع أهوائِهم، وسكنوا إلى الغفلة عن أفعالهم، فكانت أيديهم مبسوطة في الرعايا، وأهواؤهم محكمة في القضايا، فربما أفضى ذلك إلى فساد نياتهم في الطاعة لقبح آثارهم، وسوء أفعالهم، لأن المسيء مستوحش[٢].

(حذر الملك من قبول السعاية في أصحابه)

ومما ينبغي للملك أن يحذره قبول السعاية في أصحابه؛ فإن ذلك يوحش الناصح، ويسر الخائن، ويفتح للسعاية أبواب الرُّشى.

وليعلم أن الساعي لم يحمله على سعيه إفراط النصيحة منه

---

(١) تسهيل النظر ص ٢٤٩ مع تعديل.

(٢) تسهيل النظر، ص ٢٤٩، ٢٥٠ مع تعديل.

لسلطانه، وإنما يفعل ذلك إما حسداً لمن سعى به أو طلبًا للتشفي منه، **(ق٣٤/ب)** بما شاء للحظوة عند السلطان، فيوطئ الملك الرَشْوة، ويدخل عليه الشبهة؛ حتى يتصور الأمين بصورة الخائن، والمحسن بصورة المسيء؛ فيكون إضراره بمن سعى إليه أكثر من إضراره بمن سعى عليه.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إياكم ومهلك الثلاثة**» قيل: ومن مهلك الثلاثة؟ قال: «**الذي يسعى بأخيه إلى سلطانه فيهلك نفسه وسلطانه، وأخاه**»[١].

وقد قيل في منثور الحكم: الساعي كاذب لمن سعى إليه؛ و خائن لمن سعى عليه[٢].

ووقع المنصور في رقعة متنصح: تقربت إلينا فيما باعدَك من الله،

---

(١) قال الطرطوشي في سراج الملوك، تحقيق جعفر البياتي، ص٤٥٦ «لقي أسقف نجران عمر بن الخطاب قال له: يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة، قال: ومن قاتل الثلاثة؟ قال: الرجل يأتي الإمام بالحديث الكذب، فيقتله الإمام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وإمامه، فقال عمر: ما أراك أبعدت». وقال: وجدنا في حكم القدماء: أبغض الناس إلى الله الثلاث قال الأصمعي: هو الرجل يسعى بالنميمة في أخيه إلى الإمام فيهلك نفسه وأخاه وإمامه».

(٢) في مختار الحكم للمبشر بن فاتك ص ١٩ نسبة القول لهرمس.



ولا ثواب لمن آثرنا عليه(١).

فإذا حسم قبول السعاية في أصحابه أكذب ظنون السعاية فيهم، وأيقظ عزمه في قلة الغفلة عنهم، فإذا علموا أنه ليس يخفى شيء من أفعالهم عليه، أقلع **(ق٣٥/أ)** الخائن عن خيانته، وازداد الناصح نصحًا في ولايته(٢).

(مراقبة أحوال النقود وأمر جباتها)

وليعلم الملك أن في الأمور التي يعم نفعها إذا صلحت؛ ويشتمل ضررها إذا فسدت فمنها:

أمر الدراهم والنقود؛ فإن ما يعود على الملك من نفع صلاحها بسعة دخله وقلة خَرْجه أضعاف ما يعود من نفعها على رعيته، فإن سامح في غشها، وأرْخَصَ في خلط الفضة بغيرها حدث من ضرر فسادها ما يقابل نفع صلاحها؛ لأنه إذا خلط الفضة بمثلها وجعل في كل عشرةٍ خمسة خرقًا وخمسة مساو. ورام أن تؤخذ بقيمة الفضة الخالصة كان محالاً، وإن رام أن تؤخذ بقيمتها لم يجد ذلك نفعًا،

(١) الطرطوشي: سراج الملوك ص٤٥٧ بلفظ «يُرى أن رجلاً رفع إلى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها: هذه نصيحة لم يرد بها وجه الله، ولا جواب عندنا لمن آثرنا على الله تعالى».

(٢) تسهيل النظر ص٢٥٣.

وكأنه غير مكيالاً ووزنًا (ق٣٥/ب) مع إفساد الفضة وخسران العمل، وإذا طال مكثها وكثر لمسها، قبحت عند الناس؛ فتجنبوا قبض قبيحها، ورغبوا في قبض طريها ومليحها، وبهرج أصحاب اللبس عليها بضرب كثير الغش يكون أحسن من عتق تلك، فتفسد النقود، ويتجنب الناس قبض الدراهم، ويمتنعوا من بيع الأمتعة إلا بالعين أو الفضة الخرق، وتبطل معاملات النساء، فينهك المستور المرق ولا يصل إلى أرباب الأموال الجامة فتدعو الضرورة إلى تغيير الضرب؛ فإن غير بمثله كان حاله في المستقبل كحاله في الأول.

وإذا عرف من السلطان تغيير ضربه في كل عام، عدل الناس عن ضربه إلى ضرب غيره حذرًا من الوضيعة (ق٣٦/أ) والخسران، وكان عدولهم إلى ضرب غيره موهنًا لسلطانه. وإذا كان أمر النقد مستقيمًا أمن من جميع ذلك. وقد كان المتقدمون يجعلون ذلك دعامة من دعائم الملك[١].

(تفقد الملك للرعية)

وينبغي للملك أن يقيم رعيته مقام عياله واللائذين به في ارتياد موادهم وإصلاح معاشهم بالإحسان إليهم وحذف الأذى عنهم، ولا يهمل حالهم، ويصرف نفسه عن تفقد شأنهم فيصيروا رعية قهر، وفريسة دهر، تتشذب أحوالهم غفلة السلطان وحوائج الزمان.

---

(١) تسهيل النظر، تحقيق رضوان السيد ص ٢٧٥، ٢٧٦.

فقد قال النبي ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**»[١].

وكتب عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إلى أبي موسى الأشعري إن أسعد الرعاة من سعدت (**ق٣٦/ب**) به رعيته، وأشقاهم في الدارين من شقوا به، وإنك إن ترتعْ عمالك، فيكون مثلك مثل البهيمة. رأت أرضًا خضرةً ونباتًا حسنًا، فرتعت تلتمس السمن؛ وإنما حتفها في سمنها[٢].

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان أن يحمله على أهل

---

(١) صحيح البخاري جـ١ ص٣٠٤ رقم ٨٥٣، كتاب الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، وانظر أرقام الأحاديث ٢٢٧٨، ٢٤١٦، ٢٦٠٠، ٤٨٩٢، ٤٩٠٤، ٦٧١٩. وصحيح مسلم، جـ٣، ص١٤٥٩ رقم ١٨٢٩، كتاب الإمارة، باب الإمام العادل، وجامع الأصول جـ٤ ص٥٠، ٥١ رقم ٢١٢٨. قال البغوي: «معنى الراعي (هاهنا) الحافظ المؤتمن على ما يليه، أمرهم النبي ﷺ بالنصيحة فيما يلونه، وحذرهم الخيانة فيه بأخباره أنهم مسئولون عنه. فالرعاية: حفظ الشيء، وحسن التعهد، فقد استوى هؤلاء في الاسم، ولكن معانيهم مختلفة، رعاية الإمام، وولاية أمور الرعية، والحياطة من ورائهم، وإقامة الحدود والأحكام فيهم، ورعاية الرجل أهله بالقيام عليهم بالحق في النفقة وحسن العشرة، ورعاية المرأة في بيت زوجها بحسن التدبير في أمر بيته، والتعهد لخدمه وأضيافه، ورعاية الخادم حفظ ما في يده من مال سيده والقيام بشغله، والله أعلم. شرح السنة، جـ١٠، ص٦٢.

(٢) الخراج لأبي يوسف ص١٧، وعيون الأخبار ١:١١، والبيان والتبيين ٢:١٥٥، والعقد الفريد ١:١٠٣.

السواد فكتب إليه عبد الملك: لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك، وأبق لهم لحومًا، يعقدوا بها شحومًا[١].

(الاهتمام بأمن السبل والمسالك)

ويهتم كل الاهتمام بأمن سبلهم ومسالكهم، وتهذيب طرقهم ومفاوزهم، من أهل الزعارة والمفسدين، لينتشر الناس في متاجرهم آمنين؛ فكثر جلبهم، وتخصبت بلادهم ويكون نفع جميعهم عامًا، ودخل موادهم جامًا، فيصير رفق السلطان **(ق٣٧/أ)** بذلك أعظم من رفق رعيته، وعقباه أنفع في مملكته[٢].

(مساواة الملك نفسه مع الرعية)

وينبغي أن يساوي بينهم وبين نفسه في الحق لهم وعليه ولا يقدم فيه شريفًا على مشروف، ولا قويًا على ضعيف، بل يعدل بين جميعهم في القضاء، ويجري الحكم على الخاصة والعامة بالسواء؛ فإن ذلك أحسم لمواد الظلمة، وأقطع لشره الغلبة.

وقد قيل: من جارت قضيته ضاعت رعيته[٣].

---

(١) الثعالبي: خاص الخاص ص٨٧.
(٢) تسهيل النظر، محيي الدين هلال السرحان، ص٢٥٨، ٢٥٩.
(٣) تسهيل النظر، تحقيق رضوان السيد ص٢٨٣.

وسأل ملك ناسكًا عن الإخلاص، فقال الناسك ثلاث: اعدل في القضية، واقسم بالسوية واعدد نفسك واحدًا من الرعية[١].

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه: يا أبه، ما السياسة؟ قال: هيبة الخاصة مع صدق محبتها (**ق٣٧/ب**)، واستمالة قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع؛ فإن شكرها لأقرب الأيدي إليها[٢].

ويتعهد حالة الفقير بينهم بالبر والصدقة، ويراعي خلة الكريم منهم بالزور والصلة، فإن إحسانه إلى الفقراء يشكره عليه الأغنياء.

كان الموبذان[٣] إذا دخل على أنوشروان يقول: يا ملك الملوك استدم النعم بالعطف على الرعية، وأهن طعامك بإشباع الجائع وراء بابك، والتحف بالأمن بإنصاف الناس من نفسك؛ يا ملك الملوك، أعط الحق من نفسك يتعاطاه الناس وراء بابك؛ يا ملك الملوك، أظهر العدل في دارك يتعامل به أهل مملكتك، يا ملك الملوك، (**ق٣٨/أ**) واحذر

---

(١) تسهيل النظر، تحقيق رضوان السيد ص٢٨٣.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١: ١٠، نهاية الأرب ٦: ٤٣ والتذكرة الحمدونية ص٤٤، ومفاتيح العلوم ص٤١٩.

(٣) الموبذان، موبذ (بضم الميم وفتح الباء) كلمة مؤلفة من قسمين (مو) بمعنى الدين و(بذ) بمعنى الحافظ والقيم والفقيه. والألف والنون في آخره علامة الجمع. قال ابن الأثير: الموبذان للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين، والموبذ كالقاضي. نهاية الأرب جـ٤، ص٣٦٩.

النساء تسلم[١].

وقد قيل في منثور الحكم: بالراعي تصلح الرعية، وبالعدل تملك البرية[٢].

(كيفية معاملة الملك للأخيار والأشرار من رعيته)

وينبغي أن يميز أخيار رعيته، فيخصهم بالإكرام والتقريب، ويقمع أشرارهم بالإبعاد والتأديب، ليرغبوا في منازل الأخيار، ويقلعوا عن أخلاق السفلة الأشرار، ويأمن أهل الورع والسلامة خوف عقوبته، ويوطن أهل البرية والذعارة أنفسهم على حلول نقمته.

وقد قال بعض الحكماء: انقياد الأخيار بحسن الرغبة وانقياد الأشرار بطول الرهبة[٣].

قال الشاعر[٤]:

إذا كنتم للناس في الأرضِ سادةً   فسوسوا كرام الناسِ بالحلْمِ والبذلِ

(١، ٢) تسهيل النظر، تحقيق رضوان السيد، ٢٨٤.

(٣) القول في أحاسن المحاسن ص١٦٤.

(٤) قارن أدب الملوك للثعالبي تحقيق الدكتور جميل عطية ص٨١: ومن أحسن ما سمعت في هذا المعنى نظمًا قول عبد الله بن طاهر، وهو ملك ابن ملك، ثم ذكر البيتين التاليين:

إذا كنتم للناس أهل سياسة   فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل

وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا   على الذّل إن الذل أوفق للنذل

(ق٣٨/ب)

وسُوسوا لئام النـاس بالذُلِّ وحـده   جميعًا فإنَّ الـذلَّ يصلـح للنـذلِ

ويراعي أهل النسك والصلاح بغاية الإعظام، ويعتمدهم بأجزل الإكرام، ويتقرب إليهم بطاعة الله تعالى في خلقه، والرغبة إليه في أداء حقه، ليكونوا لفعله حامدين، وإلى الله عز وجل بالدعاء له مبتهلين، فلن يعدم من الله سبحانه إجابة دعائهم[١].

(رعاية العلم ومراعاة العلماء)

فأما العلم فينبغي للملك أن يعرف فضله، ويستبطن أهله؛ ليكون بالعلم موسومًا، وإليه منسوبًا، فإن الإنسان موسوم بسيما من قاربه، ومنسوب إليه أفاعيل من صاحبه؛ وكذلك قال النبي (ق٣٩/أ) ﷺ: «**المرء على دين خليله**»[٢].

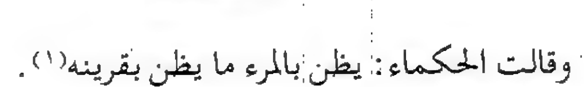
وقال: «**المرء مع من أحب**»[٣].

---

(١) في نفس المعنى، تسهيل النظر، تحقيق محيي هلال السرحان ص٢٧٠، ٢٧١.

(٢) أخرجه القضاعي عن أبي هريرة في مسند الشهاب ١ :١٤١ رقم ١٢٧، ورواه أبو داود الطيالسي ٢١٠٧، وأحمد ٢ :٣٠٣، ٣٣٤، وأبو داود رقم ٤٨١٢، والجامع الصحيح للترمذي رقم ٢٤٨٤ قال: حسن غريب، والحاكم في مستدركه ٤ :١٧١.

(٣) البخاري ٥ :٢٢٨٣ رقم ٥٨١٦، ٥٨١٧ في الأدب، باب: علامة الحب في الله عز وجل، مسلم ٤ :٢٠٣٤ رقم ٢٦٤٠ في البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، جامع الأصول ٦ :٥٨٨ رقم ٤٧٨٧ من أحب قومًا كان معهم.



وقالت الحكماء: يظن بالمرء ما يظن بقرينه[١].

وقد تختص الملوك من هذا بما يباينون به من سواهم؛ لخفاء أحوالهم عن الرعية، فيقضون عليهم بما قد عرفوه من أحوال بطائنهم؛ فإن استبطنوا العلم قضوا عليهم بالعلم، وإن استبطنوا الجهل قضوا عليهم بما عرفوه من أحوال بطانتهم الجهال، وإن علموا ما ينتشر من الفساد العظيم بإهمال العلماء، وترك مراعاتهم، وذلك أنه ربما بعث بعضهم قلة المادة وضعف الحال على مسامحة النفس في التبذل، وارتكاب الشبه في التكسب فإذا وافق ذلك إعراض السلطان **(ق٣٩/ب)** عنهم قبحت آثارهم عند العامة، وتقاصرت رتبتهم عند الخاصة، فهجروا هجر الأعداء، وزجروا زجر السفهاء، ثم سرى ذلك في خواصهم ومتصونيهم، وعم في جنسهم ومتدينهم، فذهبت بهجة العلم وبهاؤه، وقل طلابه وعلماءه، وصار ذريعة إلى انقراضه ودراسته.

ثم لا يبعد أن يظهر أهل نحل مبتدعة، ومذاهب مخترعة، يزوقون كلامًا مموهًا، ويزخرفون مذهبًا مشوهًا، يخلبون به قلوب الأغمار، ويعتضدون على نصرته بالسفلة الأشرار، فيصب الناس إليهم وينعطفوا عليهم، بخلابة كلامهم، وحسن ألطافهم، مع أن لكل جديد لذة، ولكل مستحدث صبوة، **(ق٤٠/أ)** وقال النبي ﷺ: «**إن أخوف**

---

(١) القول في أدب الدنيا والدين ص١٦٧، ومجمع الأمثال ٢: ٤٢٩.

ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان»[١].

فتصير حينئذ البدع فاشية، ومذاهب الحق واهية، ثم يفضي بهم الأمر إلى التحزب والعصبة؛ فإذا رأوا كثرة جمعهم، وقوة شوكتهم داخلهم عز القوة، ونخوة الكثرة، فتضافر جهال نساكهم، وفسقة علمائهم بالميل على مخالفيهم. فإذا استتب لهم ذلك، زاحموا السلطان في رئاسته، وقبحوا عند العامة جميل سيرته؛ فربما انفتق مالا يرتق؛ فإن كبار الأمور تبدو صغارًا.

وقد قال النبي ﷺ: «**أهلك أمتي رجلان؛ عالم فاجر، وجاهل متعبد**». وسئل عن شرار الأشرار **(ق٤٠/ب)** فقال: «**شرار العلماء**»[٢].

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه[٣]: «قصم ظهري رجلان؛

---

(١) عن عمر بن الخطاب مرفوعًا. مسند الإمام أحمد ١: ٢٢.

(٢) أخرجه الدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلاً بلفظ: «هلاك أمتي: عالم فاجر، وعابد جاهل. وشر الأشرار شرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء». أبو الفضل العراقي: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار حاشية على إحياء علوم الدين للغزالي جـ١، ص٦٣.

(٣) في النسخة: عليه السلام، وهي صيغة تقال للأنبياء، ولا داعي لتمييز «علي» على أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم. **ولعل ذلك من الناسخ لا من الماوردي**).

ناسك جاهل يدعو إلى جهله بنسكه، وعالم فاسق يدعو إلى فسقه بعلمه»(١).

وهذا أمر يجب على الملك مراعاته؛ لما فيه من حراسة الدين وحفظ المملكة، وحسم ذلك أن يراعي العلم وأهله، ويصرف إليهم حظًا من عنايته، ويعتمد أهل الكفاءة منهم بالتقريب والصيانة، وأهل الحاجة منهم بالرفد والإعانة؛ ففي ذلك بهاء الملك وإعزاز الدين.

وقد قيل: إن من إجلال الشريعة إجلال أهل الشريعة(٢).

(مكافأة المحسن ومجازاة المسيء)

وليكن المعروف من شيمه، والمألوف من أخلاقه، أنه يكافئ المحسن بإحسانه ليألف الناس (ق٤١/أ) الإحسان رغبة في إحسانه من غير أن يجعل لجائزته حدًا؛ لصلته قدرًا؛ فإن ذلك أبسط للأمل فيه، ولا يعرف منه في المسيء شيمة مألوفة لا في عفو ولا في عقوبة؛ لأن المسيء إذا عرف منه العفو اجترأ، وإن عرف منه العقوبة قنط، وإن لم يعرف منه واحدًا منهما كان على رجاء عفوه وخوف من عقوبته؛ فكان ذلك أبلغ في تأديبه ومصلحته؛ فإن رآه أهلاً للعفو عفا عنه.

---

(١) في المنسوب لعلي بشرح نهج البلاغة ٤: ٥٤٤ بلفظ: «قصم ظهري رجلان جاهل متنسك، وعالم متهتك».

(٢) في أحاسن المحاسن ص ١٥٩.

قال النبي ﷺ: «**عفو الملوك بقاء الملك**»[(١)]، وإن رآه للعقوبة مستحقًا عاقبه أدبًا لا غضبًا عليه.

(خصال في سياسة مملكة وحراسة دولة)

فقد قال أنوشروان: إني بلغت هذه الرتبة بثمان خصال: (**ق٤١/ب**) وذلك أني لم أهزل في أمر ولا نهي قط، ولا أخلف في وعد ولا وعيد قط، ووليت للكفاية وأثبت للغناء لا للهوى وعاقبت للأدب لا للغضب، وأودعت قلوب الرعية شدة المحبة من غير جرأة، وقوة الهيبة من غير ضغينة، وعممت بالقوت وحذفْتُ الفضول[(٢)].

وهذه أوضح سيرة سار بها ملك في سياسة ملكه، وحراسة دولته.

---

(١) في فيض القدير ٤ :٣١٨ عن علي مرفوعًا بلفظ «عفو الملوك أبقى للملك» وقد أخرج الحديث الرافعي في «تاريخ قزوين» وعلم عليه السيوطي بالحسن، وهو من أمثال العجم في الإعجاز والإيجاز ص ٩، وانظره في التمثيل والمحاضرة ص ٤١١، وآداب الملوك ص ٩٥، ونثر الدرر ١ :٢٦٥، والجوهر النفيس لابن حداد ص٨٧.

(٢) نهاية الأرب ٦ :١٦ نسبته لأنوشروان، ويرد هذا المأثور مع تعديلات طفيفة في مصادر عديدة منها: عيون الأخبار ١ :١٠، والعقد الفريد ١ :٢٤، والجوهر النفيس ص٧٢، ٧٣ نسبته إلى بعض الملوك. وفي تذكرة ابن حمدون ١ :٤٠٠، وكتاب الآداب لابن شمس الخلافة ص٢٧، ولباب الآداب ص٣٧ نسبته إلى كسرى، وفي أدب الملوك للثعالبي ص٨٣، وبهجة المجالس ١ :٣٣٧، وسراج الملوك تحقيق جعفر البياتي ١ :١٩١ نسبته إلى سابور ذي الأكتاف.

وقال الشاعر[١]:

تعفوا الملوكُ عن العظيمِ   مـن الذنـــوب لفضلها
ولقد تعـاقب في اليسير   وليس ذاك لجهلهـــا
إلا ليعـــرف فضلهـــا   ويخـاف شدةُ نكلها[٢]

وليعلم أن القبح في الظلم بقدر الحسن في العدل، والزهد **(ق٤٢/أ)** في ولاية الظالم بقدر الرغبة في ولاية العادل.

فينبغي للملك أنْ يختار لنفسه الرغبة في أيامه، بتسليط العدل على ملكه والإحسان إلى رعيته؛ فإنه إن قدر على ملكة أجسادهم بسلطانه، فليس يقدر على ملكة قلوبهم إلا بإحسانه.

وقد قيل: من جمع المال لنفع غيره أطاعوه، ومن جمع المال لنفع نفسه أضاعوه[٣].

---

(١) هو النعمان بن المنذر اللخمي، أبو قابوس، ملك الحيرة، المعروف بيوميه، قتل عبيد بن الأبرص في يومه شؤمه، وقاتل عدي بن زيد وصاحبه النابغة الذبياني. كان ملكه بعد أبيه اثنتين وعشرين سنة، وقتله كسرى أبرويز بن هرم، وبسبب قتله وقعت حرب ذي قار. انظر في بعض أخباره: مروج الذهب ١:٢٩٣-٢٩٦، وعيون الأخبار ١:١٣٨، ١٨٣، ١٨٤، ٢٢٧ والمعارف تحقيق ثروت عكاشة ٦٤٩، ٦٥٠.

(٢) أدب الملوك ص٦٥، حماسة الظرفاء ١:١٧٨، أحاسن المحاسن ص٩، وبدون عزو: عيون الأخبار ١:١٠٠، والتذكرة الحمدونية ١:٣٠٦.

(٣) تسهيل النظر، تحقيق رضوان السيد، ١٧٦.

وقد قال بعض الحكماء: من خاف إساءتك اعتقد مساءتك[1].

فإن فتش عن سرائرهم مع استقامة ظواهرهم وأراد أن يؤاخذهم بما يخفونه من ضمائرهم فقد كلف نفسه همًا قد كفيه، واستفسد من يطيعه ويتقيه، وعدل عما يستصلح به السرائر من الإحسان إلى ما **(ق٤٢/ب)** يستفسد به الظواهر من المكاشفة.

وحكى اليزيدي ـ رحمه الله ـ أن كسرى بن قباذ[2] رفع إليه رجل من أصحابه: إن في بطانة الملك جماعة قد فسدت نياتهم، وخبثت ضمائرهم، وقد هموا بما لم يفعلوا، وهم غير مأمونين على الملك؛ فوقع: أنا أملك الأجساد لا النيات، وأحكم بالعدل لا بالرضى، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر[3].

(على الملك فعل الخير دائمًا)

وليكن من دأبه فعل الخيرات إما ابتداءً من نفسه أو اقتداءً بالأخيار

---

(١) قوانين الوزارة تحقيقي ص٧٨، وأدب الدنيا والدين ص٢٣٦، وفي الحكمة الخالدة ص١٤١ نسبة القول لقيس بن عاصم، وفي محاضرات الراغب ١: ٢٤٦ نسبته لمعاوية.

(٢) كسرى قباذ بن فيروز، ملك بعد أخيه بلاس بن فيروز. وفي زمنه ظهرت فتنة مزدك الدينية، واستمر حكمه ثلاثًا وأربعين سنة. انظر مروج الذهب ١: ١٦٤، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص٥٠.

(٣) قوانين الوزارة ص ٩٨.



من سلفه.

وقد قيل: الناس في الخير أربعة: منهم من يفعله ابتداءً، ومنهم من يفعله اقتداءً، ومنهم من يتركه حرمانًا، ومنهم من يتركه استحسانًا. فمن يفعله ابتداءً فهو كريم (ق٤٣/أ)، ومن يفعله اقتداءً فهو حكيم، ومن يتركه حرمانًا فهو شقي، ومن يتركه استحسانًا فهو رديء[1].

وليكن ما يخلفه من جميل الذكر وحسن السيرة، إمامًا يقتدي به الأخيار، ومثالاً يزدجر به الأشرار؛ فإن ذلك أربح بضائعه يوم معاده، وأنفع ما يخلفه لمن اقتدى به؛ فإن الله تعالى ولي توفيقه وتسديده، وكفيل معونته وتأييده.

تم كتاب درر السلوك بحمد الله ومَنّه، وقوته وعونه

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين وصحبه وسلم

---

(١) أدب الدنيا والدين ١٠٣، وأحاسن المحاسن ١٦٢، والمستطرف ١: ٢٦.



الفهارس

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار النبوية.

٣ ـ فهرس الأشعار (القوافي).

٤ ـ فهرس الأمثال والحكم والأقوال.

٥ ـ فهرس الأعلام.

٦ ـ فهرس مصادر الدراسة والتحقيق.

٧ ـ فهرس الموضوعات.

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

مرتبة على سور المصحف

السورة ورقمها

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار النبوية

مرتبة على حروف المعجم

(أ)

مطلع الحديث *رقم الصفحة*

(ب)

(ر)

مطلع الحديث رقم الصفحة

٣ ـ فهرس الشعر (القوافي)



٤ ـ فهرس الأمثال والحكم والأقوال

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

٥ ـ فهرس الأعلام

رقم الصفحة

رقم الصفحة

٦ ـ مصادر الدراسة والتحقيق

- القرآن الكريم.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(أ)

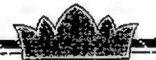
- **آثار الأول في ترتيب الدول: الحسن بن عبد الله بن محمد العباسي،** (ألفه سنة ثمان وسبعمائة)، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٩٥ هـ.
- **الآثار الباقية عن القرون الخالية: البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، المتوفى ٤٤٠ هـ،** ليزك، ١٨٧٨م.
- **الأحكام السلطانية والولايات الدينية: للماوردي، علي بن محمد ابن حبيب، المتوفى ٤٥٠ هـ،** طبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م.
- **أحاسن المحاسن: للرخجي، أبو الحسن علي بن محمد،** ضمن مجموعة خمس رسائل، الجوائب، قسطنطينية، تركيا، ١٣٠١ هـ ـ ١٨٨٣ م.
- **الأخبار الطوال: الدينوري، أحمد بن داود، أبو حنيفة، المتوفى في ٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م،** تحقيق عبد المنعم عامر، ومراجعة جمال الدين



الشيال، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٠م.

- **أخبار القضاة: وكيع، محمد بن خلف بن حيان، المتوفى ٣٠٦ هـ**، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، مطبعة السعادة، مصر ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م.
- **أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن الماوردي، المتوفى ٤٥٠ هـ**، تحقيق مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ م، وأخرى بتحقيق محمد فتحي أبو بكر، دار الفكر، دمشق.
- **أدب القاضي: للماوردي**، تحقيق محيي هلال السرحان، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ١٣٩٢ هـ-١٩٧٢ م.
- **الأدب الكبير: لعبد الله بن المقفع، المتوفى ١٤٢ هـ**، منشور ضمن رسائل البلغاء، لمحمد كرد علي، لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٤ م.
- **أدب الملوك: لأبي منصور الثعالبي، المتوفى ٤٢٩ هـ**، تحقيق الدكتور جميل العطية، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني، المحدث، معاصر، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، المتوفى ٤٦٣ هـ**، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري، المتوفى ٦٣٠ هـ**، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد، كتاب الشعب، مصر، ١٩٧٠م.
- **الإعجاز والإيجاز: للثعالبي، عبد الملك بن محمد، أبو منصور، المتوفى ٤٢٩ هـ**، ضمن خمس رسائل، مطبعة الجوائب؛ قسطنطينية؛ ١٣٠١ هـ-١٨٨٣ م.
- **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) للزركلي، خير الدين، المتوفى ١٣٩٧ هـ**، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت.
- **الإكمال في رفع الارتياب والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب: ابن ماكولا، علي بن هبة الله، أبو النصر، المتوفى ٤٧٥ هـ**، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ومراقبة محمد بن عبد المعين خان، حيدر أباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية الهند، ١٣٨١ هـ-١٩٦١م.



- **الإمتاع والمؤانسة؛ التوحيدي؛ أبو حيان علي بن محمد بن العباسي المتوفى ٤١٤ هـ**، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، ١٩٣٩-١٩٤٤م.
- **الأمثال: لأبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى ٢٢٤ هـ**، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش، مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، طبعة دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- **الأمثال والحكم: للماوردي**، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم، دار الحرمين للطباعة والنشر، مطابع الباكر، الدوحة، قطر ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- **الأنساب**: للسمعاني، **أبو سعيد بن عبد الكريم بن محمد، المتوفى ٥٦٢ هـ**، تقديم مارجليوث، طبعة ليدن ١٩١٢م، ومصورة بالأوفست في مكتبة المثنى بغداد.

(ب)

- **البداية والنهاية: للإمام ابن كثير، المتوفى ٧٧٤ هـ**، مكتبة المعارف بيروت، ١٩٧٧ م.
- **البيان والتبيين: للجاحظ، عمرو بن بحر، أبو عثمان، المتوفى**

٢٥٥ هـ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٦٨م.

(ت)

- **تاريخ آداب اللغة العربية: لجورجي زيدان**، تعليق الدكتور شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، دون تاريخ.
- **تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ**، ثلاث مجلدات، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- **تاريخ الأدب العربي: لكارل بروكلمان**، تعريب السيد يعقوب وآخرين، ٦ أجزاء، دار المعارف، مصر.
- **تاريخ الأمم والملوك (المشهور بتاريخ الطبري): لأبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري، المتوفى ٣١٠ هـ**، تحقيق محمد أبي الفضل، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر.
- **تاريخ بغداد أو مدينة السلام: للخطيب البغدادي، المتوفى ٤٦٣هـ**، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م.
- **تاريخ الخلفاء: للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المتوفى ٩١١ هـ**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٨٩ هـ-١٩٦٩م.



- **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: الأصفهاني، حمزة بن الحسين، أبو عبد الله، المتوفى ٣٦٠ هـ**، تقديم يوسف يعقوب مسكوني، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

- **تاريخ المذاهب الإسلامية: للشيخ محمد أبي زهرة، المتوفى ١٣٩٤ هـ**، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ.

- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: لابن حجر العسقلاني، المتوفى ٨٥٢ هـ**، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد على النجار، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨٣-١٣٨٦ هـ=١٦٩٤-١٩٦٧م.

- **تجارب الأمم، ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن يعقوب**، نشره أمذروز، ١٩١٤ م.

- **التحفة الملوكية في الآداب السياسية المنسوب للماوردي**، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣ م.

- **التذكرة الحمدونية: لأبي المعالي محمد بن الحسن بن حمدون، المتوفى ٥٦٢ هـ**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت.

- **التذكرة السعدية في الأشعار العربية: للعبيدي، محمد بن عبد الرحمن**، (القرن الثامن الهجري) تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، النجف، ١٣٩١ هـ/١٩٧٢م).

- **تسهيل النظر وتعجيل الظفر، لأبي الحسن الماوردي**، تحقيق محيي هلال السرحان، ومراجعة وتقديم حسن الساعاتي؛ دار النهضة بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١، وأخرى بتحقيق ودراسة الدكتور رضوان السيد، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٨٧م.
- **التمثيل والمحاضرة: لأبي منصور الثعالبي، المتوفى ٤٢٩ هـ**، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م.

(ث)

- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لأبي منصور الثعالبي**، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م.

(ج)

- **جامع الأصول من أحاديث الرسول: لابن الأثير، المتوفى ٦٠٦ هـ**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبات الحلواني، والملاح، دمشق، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- **الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن**



إسماعيل، الإمام البخاري، المتوفى ٢٥٦ هـ، ضبط وترقيم الدكتور مصطفى ديب البغا، دار القلم ودار الإمام البخاري دمشق، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

- **الجامع الصحيح المشهور بصحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، الإمام مسلم، المتوفى ٢٦١ هـ**، ضبط وترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
- **الجامع الصحيح** (وهو سنن الترمذي): **لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، المتوفى ٢٧٩ هـ**، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، طبعة دار إحياء الكتب العربية، الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧ م - ١٩٦٥م.
- **الجامع الصغير: لجلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١ هـ**، دار القلم، مصر، ١٩٦٦م.
- **الجمهرة في اللغة، لابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي، المتوفى ٣٢١ هـ**، تصحيح زين العابدين الموسوي وعبد الدين أحمد، الدكن، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٥١ هـ - ١٩٣١م.
- **الجوهر النفيس في سياسة الرئيس**: لابن الحداد، تحقيق رضوان السيد، بيروت، ١٩٨٣م.

(ح)

- **أبو الحسن البصري الماوردي**: للشيخ محمد أبي زهرة، مقال بمجلة العربي الكويتية، ١٩٦٥ م.
- **أبو الحسن الماوردي (من أعلام الإسلام)**؛ للدكتور محمد سليمان داود، والدكتور فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ م.
- **الحكمة الخالدة: لأبي علي أحمد بن يعقوب بن مسكويه، المتوفى ٤٢١ هـ**، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٢ م.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصبهاني، المتوفى ٤٣٠ هـ**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧ هـ-١٩٦٧م.
- **الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق في القرن الخامس الهجري، فاضل الخالدي**، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٣٨٩ هـ-١٩٦٩م.

(خ)

- **الخراج: لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، المتوفى ١٨٢ هـ**، تحقيق أحمد شاكر، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٢ هـ.



- **الخلاصة في أصول الحديث: للحسين بن عبد الله الطيبي، المتوفى ٧٤٣ هـ**، تحقيق صبحي السامرائي، إحياء التراث الإسلامي، بغداد، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

(د)

- **دستور معالم الحكم: للقضاعي، محمد بن سلامة، أبو عبد الله، المتوفى ٤٥٤ هـ**، القاهرة، ١٩١٨م.
- **ديوان المتنبي: أحمد بن الحسين، أبو الطيب المتنبي، المتوفى ٣٥٤ هـ**، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
- **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق الدكتور شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨م، وأخرى بتحقيق محمد الطاهر عاشور، الشركة التونسية، ١٩٧٦م.

(ذ)

- **الذريعة إلى مكارم الشريعة: للراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المتوفى ٥٠٢ هـ**، تحقيق ودراسة الدكتور أبو اليزيد العجمي، المنصورة، دار الوفا للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.



(ز)

- **الزهد للإمام أحمد بن حنبل، المتوفى ٢٤٠ هـ**، مطبعة أم القرى، مصر.
- **الزهرة**: لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور نوري حمودي القيس؛ طبعة بغداد، ١٩٧٥ م.

(س)

- **سراج الملوك: لأبي بكر الطرطوشي، الفقيه المالكي، المتوفى ٥٢٠ هـ**، المطبعة المحمودية، مصر. وأخرى بتحقيق جعفر البياتي، طبعة بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٧٠ م.
- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيئ من فقهها وفوائدها**: الألباني، محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، والدار السلفية، بيروت والكويت.
- **سلوك المالك في تدبير الممالك**؛ لابن أبي الربيع، أحمد بن محمد، القرن السابع، تحقيق الدكتور ناجي التكريتي، بيروت، ١٩٧٨ م.
- **سنن أبي داود: للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى ٢٧٥ هـ**، تحقيق عزت الدعاس، دار الحديث، حمص، ١٣٨٨ هـ-١٩٦٩م.

- **سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المتوفى ٢٧٥ هـ**، نشره محمد فؤاد عبد الباقي، الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢م.
- **السنن الكبرى: للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، المتوفى ٤٥٨ هـ**، دار المعرفة، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٤٤ هـ.
- **سنن النسائي: لأبي عبد الرحمن أحمد بن الشعيب، المتوفى ٣٠٣ هـ**، بشرح جلال الدين السيوطي، وحاشية السندي، المطبعة العصرية، الأزهرية، ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠م.
- **سير أعلام النبلاء: للذهبي، أبو عبد الله محمد بن عثمان، المتوفى ٧٤٨ هـ**، تحقيق مجموعة من الأساتذة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- **السيرة النبوية: لابن هشام، عبد الملك بن هشام، المتوفى ٢١٨ هـ**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، طبعة الحلبي، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م.

(ش)

- **شرح السنة: للبغوي، الحسين بن مسعود الفراء، أبو محمد، المتوفى ٥١٦ هـ**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١م.

- **شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد، المتوفى ٦٥٦ هـ**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨ هـ/١٩٥٩م - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.
- **الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج المتوفى ٥٩٧ هـ**، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩ هـ.

(ص)

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي**، دار الكتب المصرية، ١٩١٤-١٩٣٨م.

(ط)

- **طبقات الشافعية: للأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، المتوفى ٧٧١ هـ**، تحقيق عبد الله الجبوري، ط٢، دار العلوم، الرياض، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- **طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي، تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي، المتوفى ٧٧١ هـ**، ١٠ أجزاء، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٧٦م.

- **طبقات الشافعية: لأبي بكر هداية الحسيني، المتوفى ١٠١٤ هـ**، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧١م.
- **طبقات الفقهاء الشافعيين، لابن كثير، المتوفى ٧٧٤ هـ**، تحقيق وتعليق الدكتور أحمد هاشم والدكتور محمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣م.
- **طبقات الفقهاء: للشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، المتوفى ٤٧٦ هـ**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م.
- **الطبقات الكبرى: لابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، والمتوفى ٢٣٠ هـ**، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

(ع)

- **العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، المتوفى ٣٢٨ هـ**، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، الطبعة الثالثة، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م.
- **العقد الفريد للملك السعيد: لأبي سالم محمد بن طلحة، الوزير، المتوفى ٦٥٢ هـ**، مطبعة الوطن، القاهرة، ١٣١٨ هـ.
- **عهد أردشير**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

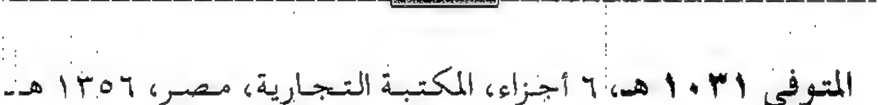
- **عيون الأخبار: لابن قتيبة، لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم، المتوفى ٢٧٦ هـ**، مجلدان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥م.

(غ)

- **غرر أخبار ملوك الفرس: للثعالبي، المتوفى ٤٢٩ هـ**، نشر زوتبرغ. مصورة أوفست، طهران، ١٩٦٣م.

(ف)

- **الفتح المبين في طبقات الأصوليين، لعبد الله مصطفى المراغي**، نشر محمد علي عثمان، مطبعة أنصار السنة المحمدية، ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧م.
- **فتوح البلدان: للإمام أبي الحسن البلاذري، المتوفى ٢٧٩ هـ**، تحقيق دي غوي، ليدن ١٨٦٦ وأخرى بتحقيق رضوان محمد رضوان، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.
- **الفهرست: لمحمد بن إسحاق النديم، المتوفى ٣٨٥ هـ**، المكتبة التجارية، مصر.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد بن عبد الرءوف المناوي،**



المتوفى ١٠٣١ هـ، ٦ أجزاء، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨م.

(ق)

- **قوانين الوزارة: لأبي الحسن الماوردي، المتوفى ٤٥٠ هـ**، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ومحمد سليمان داود، الطبعة الثالثة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

(ك)

- **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، **علي بن أحمد**، **أبو الكرم**، طبعة الاستقامة، ١٣٢٠ هـ، وأخرى دار صادر، بيروت ١٣٨٥ هـ، ١٩٦٥م.
- **كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني، المتوفى ١١٦٢ هـ**، تحقيق أحمد القلاش، مكتبة التراث الإسلامي، دمشق.
- **كليلة ودمنة: ترجمة عبد الله بن المقفع**، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام، دار المعارف، مصر، ١٩٤١م.
- **كنوز الأجداد**: لمحمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠م.

(ل)

- **لباب الآداب: لأسامة بن المنقذ، المتوفى ٥٨٤ هـ**، تحقيق أحمد محمد شاكر، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٣٥٤ هـ-١٩٣٥م.
- **لسان العرب: لجمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، المتوفى ٧١١ هـ**، دار صادر، بيروت.

(م)

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين الهيثمي، المتوفى ٨٠٧هـ**، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧.
- **المحاسن والمساوئ: للبيهقي، إبراهيم بن محمد**، كان حيًّا قبل ٣٢٠هـ، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٣٨٠ هـ- ١٩٦١م.
- **محاضرات الأدباء: للراغب الأصفهاني، المتوفى ٥٠٢ هـ**، طبعة بيروت ١٩٦١-١٩٦٣م.
- **مختار الحكم ومحاسن الكلم: للمبشر بن فاتك**، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، مدريد، ١٣٧٧ هـ-١٩٥٨م.
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر: للمسعودي، أبو الحسن علي بن حسن، المتوفى ٣٤٦ هـ**، تحقيق شارل بللا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٦-١٩٧٩م.



- **المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، المتوفى ٤٠٥ هـ**، مطبعة النصر، الرياض، دون تاريخ.
- **المستطرف من كل فن مستظرف: للإبشيهي، محمد بن أحمد، المتوفى ٨٥٠ هـ**، دار الأمم، بيروت، مصورة عن الطبعة المصرية، ١٣٧١ هـ-١٩٥٢م.
- **المسند: للإمام أحمد بن حنبل، المتوفى ٢٤٠ هـ**، المكتب الإسلامي، بيروت والأجزاء المحققة بمعرفة الشيخ أحمد شاكر، دار المعارف، مصر.
- **مسند الشهاب: للقضاعي أبو عبد الله محمد بن سلامة، المتوفى ٤٥٤ هـ**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.
- **المصباح المضيء في خلافة المستضيء: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، المتوفى ٥٩٧ هـ**، تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٣٩٧ هـ-١٩٧٧م.
- **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): لياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي، المتوفى ٦٢٦ هـ**، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م.
- **معجم البلدان: لياقوت الحموي، المتوفى ٦٢٦ هـ**، دار صادر، بيروت.

- **المعارف: لابن قتيبة، المتوفى ٢٧٦ هـ**، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.

- **المعجم الصغير: لأبي القاسم سليمان الطبراني، المتوفى ٣٦٠هـ**، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨ هـ-١٩٦٨م.

- **المعجم الكبير: للطبراني، المتوفى ٣٦٠ هـ**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد.

- **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بمصر (قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار) أشرف على طبعه عبد السلام هارون، مطبعة مصر، ١٣٨٠هـ -١٩٦٠م.

- **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى وإحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧م.

- **المغني عن حمل الأسفار: لأبي الفضل العراقي، حاشية على إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، المتوفى ٥٠٥ هـ**، طبعة القاهرة، ١٣١٢هـ.

- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: طاش**

كبرى زاده، المتوفى ٩٦٨ هـ، تحقيق كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٦٨ م.

- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: لابن الجوزي**، الأجزاء ٥-١٠، حيدر آباد، الهند، ١٣٥٨ هـ، وطبعة كاملة، **دراسة** وتحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا ومراجعة نعيم **زرزور**، عن دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.
- **المؤتلف والمختلف: للآمدي، الحسن بن بشر بن يحيى، أبو القاسم المتوفى ٣٧٠ هـ**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الحلبي، ١٣٨١ هـ-١٩٦١م.

(ن)

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، المتوفى ٨٧٤ هـ**، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر.
- **نصيحة الملوك، المنسوب لأبي الحسن الماوردي، المتوفى ٤٥٠ هـ**، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- **النمر والثعلب: لسهل بن هارون، أبو عمرو، المتوفى ٢١٥ هـ**، تحقيق عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٧٣ م.



- **النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، المتوفى ٦٠٦ هـ**، ٤ أجزاء، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، الحلبي، القاهرة، ١٣٨٣ هـ-١٩٦٣ م.
- **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا**: الدكتور رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٥-١٩٨٢م.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب: لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، المتوفى ٧٣٣ هـ**، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٦٣م.

(و)

- **الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المتوفى ٧٦٤ هـ**، باعتناء هلموت ريتر، بيروت.
- **وفيات الأعيان وأبناء الزمان: لابن خلكان، أحمد بن إبراهيم، أبو العباس، المتوفى ٦٨١ هـ**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.



٧ ـ فهرس المضمون

الموضوع *رقم الصفحة*

الموضوع رقم الصفحة

الباب الأول: في أخلاق الملك

الموضوع *رقم الصفحة*

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الفهارس

توزيــــع :
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
الرياض ١١٤٣١ ـ ص . ب : ١٤٠٥
☏ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

